محمد عبد المنعم خفاجى

الدولة الخفاجية .. فى التاريخ

رابطة الأدب الحديث

الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

هذه صفحات مضيئة من تاريخ عزيز خالد تليد ، لدولة عربية قديمة عاشت فى العراق وامتدت إلى الحلة وحلب فى الشام ، وتوارث ملكها أمراء من البيت الخفاجى لمدة طويلة ، وقد حاربها العباسيون طويلا ، ثم انتصروا عليها أخيراً وهزموها ، وقضوا عليها وعلى قوتها ، فتفرق الخفاجيون من بعد ذلك فى شرق الأرض وغربها .

إنها صفحات من التاريخ ، نقدمها للباحثين ، ولأبناء العروبة الميامين ، وما توفيقى إلا بالله ؟

المؤلف

بنو خفاجة وظهورهم فى التاريخ[1]

ولد ونشأ خفاجة[2] بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، بين مجد قومه وحسب أرومته من العامريين والعقيليين ثم تزعم قومه ، وساد عشيرته ، ووهبه الله ذرية كبيرة فرزق أحد عشر ولداً هم مالك وخالد وعمرو وكعب ذو النويرة ومعاوية ذو القرح وحزن والأقرع وكعب الأصغر وعامر والوازع كما يقول النويرى[3] وتضيف المصادر الأخرى إلى هؤلاء عداداً[4] .

وأصبح خفاجة بمجده : فى حسبه التليد، وفى مواهبه وشخصيته الكبيرة العظيمة، وفى ذريته الضخمة من الشبان والأبطال ، أصبح عزيز الجانب ، محفوظ الكرامة والشرف ، ذائع الشهر والذكر بين العرب جميعاً ، وأصبح أبناؤه وأحفاده عنصراً كبيراً من العناصر العربية الضخمة التى لها شأن فى الحياة العربية فى الجاهلية والحياة الإسلامية بعد الإسلام .

وصار يطلق على هذه العشيرة العربية الكبيرة ، وتلك القبيلة الضخمة

---

(١) راجع ٤١٧ - ٤١٩ ح ٧ دائرة المعارف للبستانى .

(٢) راجع نسب خفاجة فى العقد ٢٢٦ ح ٢ وفى كامل المبرد ٢٧٦ ح ٢ طبعة التجارية ، ١٢ : ٦ تاريخ ابن خلدون .

(٣) ص ٢/٢٥٥ نهاية الأرب وما بعدها طبع دار الكتب ١٩٢٤ .

(٤) ورد ذكر بنى عداد فى الأغانى ١٠/٧٣ .

العظيمة : خفاجة أو الخفاجيون ، كما تنطق به كتب التاريخ والأدب والشعر والعلم ، وكانت لبنيه الدولة فى العراق(١) » .

لم يكن خفاجة بن عمرو قبل الإسلام بكثير ولا عاش بعد الإسلام ، إذ هو الجد الثالث لتوبة الخفاجى الشاعر المتوفى حوالى ٥٧ هـ

وإذا ما أردنا أن نحدد تاريخ حياته فإننا نرى على ضوء المراجع الأدبية أنه عاش قبل ظهور الإسلام وتوفى قبل البعثة بنحو قرن من الزمان .

ومن خفاجة بن عمرو فروع أقامت فى نجد مما يلى المدينة بجوار مواطن الكلابيين فى خناصرة والربذة حيث أقاموا فيها إلى ما بعد ظهور الإسلام بكثير .

ثم تعدد فروع خفاجة وكثرة أبناؤه وأحفاده وطارلهم فى أرجاء البلاد العربية صيت وذكر ، وظهر بينهم كثير من الشخصيات ، مما سنلم به فى شىء من التفصيل(٢) .

---

(١) ٢٠٧ نهاية الأرب والسبائك ٤٣ - وذكر ابن جبير فى رحلته مدينة الكوفة ، واستيلاء الخراب عليها ويقول : إن من أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها ، وهو يعنى أن حروب القبيلة قد أضرت بالكوفة وتسببت فى تدميرها .

(٢) تحدث ابن مسكويه فى كتابه تجارب الأمم (٤ : ٤٤٧) عن انتشار العرب من بنى خفاجة وبنى عقيل فى البلاد العراقية .

ونحب أن نشير هنا إلى صعوبة هذا البحث التاريخى وإلى قلة مصادره وإلى العناء الذى يجده الباحث حينما يريد أن يبحث ويدرس ، فلا يجد إلا كلمة عابرة فى هذا المصدر وكلمة أخرى فى ذلك .

ولكننا والحمد لله لم نخط فى هذا البحث خطوة إلا عن ثقة ودليل ملموس ، وعن إعتماد على ما تفرق فى كتب الأدب والتاريخ من ذكريات هذا المجد الخالد المنسى بين أحداث التاريخ العظيمة المنسية .

وفى تحديد أماكن نزول بنى خفاجة يقول عقيلى : جميع بنى خفاجة يجتمعون ببيشة ورنية (بوزن أكلة) ، وهما واديان : أما بيشة فيصب من اليمن . وأما رنية فيصب من السراة ، سراة تهامة ، وهو واد واسع له روافد كثيرة . وفيه قرى ومزارع وسكان كثيرون[1] .

وكانت منازل تميم بأرض نجد دائرة على البصرة واليمامة ، وممتدة إلى العذيب من أرض الكوفة ، ثم تفرقوا بعد ذلك فى الحواضر ، وورثت مساكنهم : خفاجة من بنى عقيل بن كعب[3] .

وفى كتاب القبائل العربية قديماً وحديثاً – تأليف الأستاذ عمر رضا كحالة السورى – حديث عن قبيلة خفاجة وتاريخها يستغرق

---

(١) راجع ص ٥ و ٦ بلاد العرب للأصفهانى .

(٢) ص ٦٨ و ١١٨ المؤتلف والمختلف للآمدى .

(٣) ٢٠١و٢٥٢ المنتخب فى ذكر نسب قبائل العرب للمغيرى – طبع على نفقة أحمد بن على ثانى ضمن مجموعة كتاب « مجموع النسب » .

نحو صفحة ونصف من الجزء الأول من الكتاب . حيث سرد قليلا من أخبارها وحروبها فى العراق قديما .

وقد دون كثير من آثار التاريخ الأدبى لبنى خفاجة فى « كتاب بنى عقيل » المفقود والذى يشير إليه الآمدى كثيراً (١) كما دون فى كثير من أمهات كتب الأدب ومصادره كالأغانى والأمالى ونهاية الأرب وصبح الأعشى وسواها من أصول كتب الأدب والشعر .

أما التاريخ السياسى لبنى خفاجة فنرى بعضا منه فى بعض كتب الأدب أيضا وفى بعض كتب التاريخ ، وعلى الأخص تاريخ الكامل لابن الأثير م — ٦٢٩ هـ ، وتاريخ ابن خلدون فيلسوف التاريخ والاجتماع المتوفى سنه ٨٠٨ هـ .

ونحب أن نشير إلى أمر هام هو أن أبناء خفاجة يطلق عليهم : فلان خفاجة بجاراة لإسم الجد الأعلى ، أو فلان خفاجى نسبة إليه .

إن الحقائق التاريخية ترشدنا إلى ما يلى :

١ — أن الخفاجيين تم تكوينهم الاجتماعى القبلى قبل الإسلام بقليل .

٢ — أنهم كانوا يقيمون طول هذا الطور بنجد مما يلى المدينة بجوار مواطن بنى كلاب العامريين .

٣ — أنهم دخلوا فى الإسلام فى عهد الرسول ثم ثبتوا على الإسلام بعد وفاته .

---

(١) راجع ص ١١٨ المؤتلف والمختلف ، ٦٨ أيضاً .

٤ — أنهم ظهر بينهم فى هذا العهد كثير من الشخصيات البارزة التى كان لها أثرها ودورها فى الحياة العربية .

٥ — أن بنى خفاجة كانت لهم مكانة عظيمة بين القبائل العربية الضخمة وكانوا قوة يرهب الجميع جانبها .

وقد تفرقوا بعد ذلك فى كثير من البلاد كالعراق والشام ومصر والأندلس وسواها .

يقول ابن حزم :

وخفاجه بطن ضخم ، منهم : إبراهيم قاضى سجستان ، والنحوى محمد بن معارك المعروف بالعقيلى بقرطبة ، وتوبة صاحب ليلى الأخيلية(١) .

ويقول مؤرخ آخر : خفاجة بطن من عقيل بن عامر بن صعصعة ، انتقلوا فى آخر الأيام إلى العراق والجزيرة وكان لهم ببادية العراق دولة ، قال المؤيد صاحب حماة : وهم أمراء العراق من قديم الزمان ، وذكر الحمدانى منهم طائفة بالديار المصرية(٢) .

وهذا دليل قوى على اتصال النسب ووحدة الأورمة .

وهناك كتاب مفقود يحتوى على كثير من الشخصيات التى ظهرت

---

(١) ٢٧٤ أنساب العرب لابن حزم .

(٢) ٤٣ سبائك الذهب فى معرفة أنساب العرب للشيخ الفاضل محمد البغدادى ط . ١٢٨ هـ ببغداد .

ن الخفاجيين فى هذا العهد(١) وهو كتاب « بنى عقيل » والذى يأخذ عنه
لآمدى ويشير إليه أحياناً (٦٨ و ١١٨ و ١٨٩ المؤتلف للآمدى) .

ولننتقل إلى دراسة تاريخ بنى خفاجة ، فى العصر الأول ، من بدء
ظهورهم قبل الإسلام إلى ما بعد الإسلام .

---

(١) وقد مدح بنى خفاجة كثير من الشعراء فى كل عصر وكل جيل ،
فيهم يقول المتنكب السلمى الشاعر من قصيدة (راجع ٤٧١ معجم ،
لشعراء للمرزبانى) :

فسقى الإله بنى خفاجة من ماء السماء بطيب الخمر

وكانت لبنى خفاجة الدولة فى العراق والجزيرة العربية (نهاية الأرب
والسبائك ص ٤٣) - وكانت خفاجة مشهورة بالخيول لحاجتها إليها
فى الحرب، ولذلك يقول أسامة بن منقذ فى كتابه « الاعتبار » ص٦٧ : كان
عند والدى حصان أدهم من خيل خفاجة ، وكان جواداً من أحسن الخيل .

هذا ويصحح ابن الأثير فى كتابه « اللباب » ص ٣٨١ الجزء الأول
طبعة ١٣٥٧هـ أن لقب الخفاجى نسبة إلى خفاجة بن عمرو بن عقيل وهو
ابن أخى عبادة ، وقيل إن اسم خفاجة معاوية واشتهر باللقب ، وينقل
عن السمعانى أن بنى خفاجة كانوا يسكنون بنواحى الكوفة وهم القبيل
المشهور وينتسب إليهم الشاعر المفلق الأمير أبو سعيد بن سنان
الخفاجى الحلى .

توبة الخفاجى (٢٠-٥٧ هـ)

- ١ -

توبة بطل من أبطال الحرب ، وشاعر من المشهورين فى عالم الشعر فى القرن الأول الهجرى .

وقصة حبه لليلى الأخيلية الشاعرة (٣٠ - ٨٠هـ) مشهورة ، وهى شبيهة بقصة المجنون وليلى العامرية .

وتوبة نشأ فى الصحراء بنجد ، وتوسط عقد أترابه ولداته ، واشتهر بالبطولة والفروسية ، فاشترك فى معارك عديدة ، وفى احدى معارك بطولاته قضى حياته ، فبكته الصحراء ، وبكته ليلى الأخيلية حتى فى مجالس الخلفاء والأمراء .

- ٢ -

وقد صدر عنه كتاب بعنوان «توبة شاعر الحب والبطولة» ، وكتاب «ليلى الأخيلية» ، وقصة «نشيد الصحراء» التى تحكى قصة حب توبة وليلى ، وهى كلها للخفاجى محمد عبد المنعم .

وقفت أمام الخليفة معاوية بن أبى سفيان ، مؤسس دولة بنى أمية ، وهو مَن هو منزلة ومكانة !! تدافع عن توبة ، وكان توبة فى عهد هذا الخليفة يُغير على القبائل ، ويستولى على الأموال ، وينتقم بنفسه لأهله وله ، فتعجب الخليفة من حبها لتوبة ، وقد اتهمه الخليفة بالغدر واستباحته للأموال وسفك الدماء فردت عليه ليلى ردا بليغا .

فحينما اجتمعت بالخليفة فى حاجة لها ، وقد ذكر لها تلك الصفات ، دافعت عنه أمام الخليفة وكبار القوم فكان مما قالته :

لا . . . يا أمير المؤمنين ! وكان توبة قد مات - (إنه لبعيد الهمة ، سَبْط البنان ، حديد اللسان ، كريم المخبر ، عفيف المئزر ، جميل المنظر) .

فقال لها الخليفة : ألم تسمعى ما يقول الناس عنه ؟

قالت ليلى : يا أمير المؤمنين ! ليس كل ما يقول الناس حقاً ، الناس شجرة بَغْى يحسدون النعم حيث كانت ، وعلى من كانت .

قال الخليفة : لقد جُزت بتوبة قدره ! فأجابته بشجاعة : يا أمير المؤمنين ! والله لو رأيته وخبرته ، لعلمت أنى مقصرة فى نعته ، وأنى لم أبلغ كُنه ما هو له أهل .

- ٣ -

لم تقتصر ليلى فى الدفاع عن توبة أمام الخليفة معاوية بن أبى سفيان ، بل دافعت عنه أمام عِلْيَة القوم ، فقد وقفت أمام أمير المدينة مروان بن الحكَم ، وله مكانة عظيمة فى عهد معاوية ، وقفت بكل إصرار تدافع عن توبة ، وقد كانت فى زيارة للأمير باعتبارها تقيم بأرض تابعة لإمارة المدينة . . لقد لامها الأمير لمقولاتها فى مدح توبة وقال : إنه كان حاربا (١) . . .

قالت ليلى : والله ما كان حاربا . . . لكنه كان فتى له جاهلية ، ولو طال عمره لا رْعوَى قلبه ولقضى فى حب الله نَحْبَه ، ولكن الموت عاجله .

- ٤ -

وفى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان حينما دخلت قصر الخليفة ولم تحسن عاتكة زوج الخليفة استقبال ليلى ، وأوغرت صدر الخليفة عليها ، فلم يقض حاجتها ، خرجت غاضبة فهجت عاتكة ، وعرّضت بالخليفة وذكرت أقبح الصفات التى يتصف بها الخليفة ، ومدحت توبة وفضلته على الخليفة فى قصيدة عصماء منها هذه الأبيات :

---

(١) حارب : أى عاص خارج على الدولة .

أعاتكَ لو رأيت غداة بنّا
عَزاء النفس عنكم واعتزامى
إذًا لعلمت واستيقنت أنى
مشيعة ولم ترعىِ ذمامى
أأجعل مثل توبة فى نداه
أبا الذُّبان فُوه الدهر دامى

وكان الخليفة يكنى أبا الذبان لنتن فى فمه ولكن الحب يفعل المعجزات .

- ٥ -

ثم يأتى دور الحجاج مع الشاعرة ليلى ، والحجّاج هو الذى ذوخ الناس فى الحروب والقتال ووصِف بالشدة والقسوة ، زارته ليلى أكثر من مرة ، وصارحها الحجاج ليصل إلى معرفة السبب الذى من أجله أحبّت ليلى توبة .

سأل الحجاج ليلى : هل وقع بينك وبين توبة لقاء ، ورأيت م... ميلاوحنانا ، حتى احبيته ؟

فهمت ليلى ما يرمى ويقصد إليه الحجاج ، وكانت صريحة معه ، فقالت : لا . . . والله أيها الأمير ما وقع بيننا لقاء ، ولا قربت منه ولا قرب منى ، وإنما عشنا والتقينا على الطهر والعفاف حتى أفترقنا . . والله شاهد على ذلك ، أمن الحجاج بما قالت وصدقها وقال : هذا أمر عجيب وغريب .

- ٦ -

واصلت ليلى حياتها العادية ، وتزوجت سوّارا القشيرى وأخلصت لزوجها وطاوعته فى كل ما طلبه منها ، ودافعت عنه أمام أعدائه ، ومدحته أمام أكبر الأعداء ، وهو الشاعر النابغة الجَعْدى ، فقالت ترد على الجعدى :

تنافر سوارا إلى المجد والعلا
وأقسم حقا إن فعلت ليفعل

وكان سوّار وفياً لها ، فلم يقع بينهما خلاف .

ثم إن ليلى استأذنت من زوجها فى الذهاب إلى الحجاج ليساعدها فى الذهاب إلى خراسان ، وقد استجاب الحجاج لطلبها فسافرت مع رجال البريد هى وجاريتها ، فاحتفى بها حاكم خراسان . . ثم عادت وقد ألمّ بها مرض شديد فى الطريق فتركوها هى وجاريتها فى مدينة (ساوه) . . . وهناك عاجلها الموت . . فلفظت أنفاسها الأخيرة عام ٨٠ هـ .

- ٧ -

وقصة توبة وليلى وردت فى مصادر كثيرة ، منها : الأغانى الجزء العاشر - الشعر والشعراء لابن قتيبة - المؤتلف والمختلف للامدى - زهر الاداب الكامل للبرد - فوات الوفيات - العمدة لابن رشيق - العقد الفريد - شاعرات العرب - تزيين الأسواق بتفصيل أحوال العشاق - اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور «مخطوط» - أمالى القالى - بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى - الحجاج ابن يوسف الثقفى لجورجى زيدان - ليلى الأخيلية - الخفاجيون فى التاريخ - دراسات فى الأدب فى أزهى عصوره ، والثلاثة الأخيرة هى للخفاجى؛ . . إلى غير ذلك من شتى المصادر .

بنو خفاجة فى العراق

— ١ —

١ — تحدث المؤرخون عن هجرة بعض بنى خفاجة إلى العراق ومصر والأندلس ، ونعلم أن شاعراً من بنى خفاجة هاجر مبكرا إلى مصر هو وأولاد أعمامه فى عهد عمر بن الخطاب ، وهو أبو العيال الخفاجى . ويمكننا أن نذكر إجمالا عدة حقائق لها أهميتها فى فهم تاريخ فى هذه الحقبة من التاريخ :

فى سنة ١٥ هـ(١) أو فى سنة ١٦ هـ(٢) أو فى المحرم من سنة ١٧ هـ(٣) اختطت الكوفة ، مصرها ابن أبى وقاص وتحول إليها من المدائن وأول شىء خط فيها هو مسجدها ، وبنى سعد ظلة فى مقدمة مسجد الكوفة على أساطين رخام من بناء الاكاسرة فى الحيرة، وبنى لسعد دار بحياله وهى فى الكوفة ، بناه روزبه من آجر بنيان الاكاسرة بالحيرة ، وجعل الأسوا على شبه المساجد(٤) . وولى سعد الكوفة بعد ما اختطها ثلاث سنين ونصفا ، وكانت ثغور الكوفة أربعة :

حلوان وعليها القعقاع .

---

(١) ٢٠٧ ج ٢ ابن الأثير .

(٢) ٢٢٥ ج ٢ ابن الأثير .

(٣) ١١١ ملحق الجزء الثانى من تاريخ ابن خلدون .

(٤) ٢٢٣ ج٢ ابن الأثير .

وما سبذان وعليها ضرار بن الخطاب .

وقرقيسيا وعليها عمر وبن مالك .

والموصل وعليها عبد الله بن المعتم(١) .

والمهم من ذلك كله أن مدينة الكوفة نشأت فى خلافة عمر وكانت فى نهاية بادية نجد وفى أول الخصب من أرض العراق وأن حامية كبيرة من المسلمين أقامت فيها وأنها كانت عاصمة على والسفاح وأن الكوفة امتازت بحسن جوها وخصب سوادها وتوسطها البلاد الإسلامية كلها وحسن مواصلاتها مع كل الإقاليم وكانت عاصمة حكم بلاد العراق وفارس كلها حتى بناء بغداد على عهد أبى جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ، وامتازت بمساجدها وبسوق الكناسة الذى كان فيها والذى كان له أثر أدبى خالد إلى قيام الدولة العباسية(٢). وقد جذبت الكوفة كثيراً من القبائل العربية إليها فهاجرت نحوها وأقامت فيها أو فى ضواحيها ، وكانت قبيلة بنى خفاجة من ضمن

---

(١) راجع ١١١ ملحق الثانى لابن خلدون ، ٢٠٣ [illegible] ابن الأثير

(٢) راجع وصف الكوفة فى العقد ٢٦٤ و ٢٦٥ ج ٤ العقد الفريد .

وبين البصرة والكوفة ثمانون فرسخا ٦٦/٤ العقد .

وراجع وصف ابن جبير الاندلسى لها فى رحلته فى أواخر القرن السادس الهجرى (٢١١ — ٢١٣ ابن جبير طبع ليون سنة ٩٠٧،) ووصف ابن بطوطة لها فى القرن الثامن (١٣١ ابن بطوطة طبعة القاهرة سنة ١٢٧٨)— وراجع كتاب الشعر فى الكوفة القرن الثانى للدكتور يوسف خليف .

القبائل العربية التي هاجرت إليها وأقامت في ضواحيها، ولا نعلم شيئاً عن تاريخ هذه الهجرة ولا عن ظروفها ولا نجد عنها شيئاً إلا قليلا جداً في مصادر التاريخ، فابن خلدون يقول في بني خفاجة: «انتقلوا إلى العراق والجزيرة ولهم ببادية العراق دولة(١)»... ويقول:

«وكان انتقالهم إلى العراق فأقاموا به وملكوا ضواحيه وكانت لهم مقامات وذكر وهم أصحاب صولة وكثرة وهم الآن ما بين دجلة والفرات(٢)». وجاء في مصدر آخر: كانت لبني خفاجة الدولة في العراق والجزيرة(٣).

وفي شعر قيس بن معاذ أحد بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة — وهو مجنون ليلى(٤) — أشارات كثيرة إلى جبل الثوية بالكوفة(٥). وقد مضى أن بعض الرواة يعدون قيسا هذا من بني خفاجة(٦) وإذا كان قيس قد عاش في القرن الأول الهجري. وعلم أن القحيف الخفاجي المتوفى نحو عام ١٢٥ ﻫ كان يعيش في الكوفة. فيكون انتقال بني خفاجة إلى ضواحي الكوفة قد حدث في القرن الأول أيضاً.

---

(١) راجع ٢١٢ ﺣ ٢ ابن خلدون.
(٢) ١٢ ﺣ ٦ ابن خلدون.
(٣) نهاية الأرب ٣٠٧ والسبائك ٤٣.
(٤) راجع ١٣٩ و ١٤٠ ﺣ ١ كامل المبرد الطبعة القديمة.
(٥) « ١٥١ ﺣ ١ كامل للمبرد.
(٦) « المؤتلف ومعجم الشعراء في مواضع كثيرة.

وعلى أى حال فقد استقر بنو خفاجة فى ضواحى الكوفة واستمروا على عزتهم ومجدهم كما كانوا قبلا فى بادية نجد.

٢ — ويقول أحد الأدباء المعاصرين من بنى خفاجة فى العراق وهو الأستاذ مجيد أحمد الخفاجى بالكاظمية ببغداد، فى رسالة بعث بها إلى وجاء فيها:

« سكنت (خفاجة) العراق منذ زمن بعيد غير أن التاريخ لم يتطرق إلى ذكرهم تفصيلا سوى ما ورد من أن عشائر خفاجة كانت توالى (المناذرة) ثم يسكت التاريخ عن ذكرهم إلى حادثة كربلاء التى وقعت أيام حكم يزيد بن معاوية ، فيقول : إن زعماء خفاجة فى الكوفة لم يتمكن عبيد الله بن زياد من استمالتهم لمحاربة الأمام الحسين. غير أن الواضح المتفق عليه أن خفاجة قد دخلت العراق فى غربيه ، سواء أكان نزوحها من نجد أم من اليمن ، وأن تاريخها البعيد والقريب يثبت أن أفرادها لم يمتهنوا الزراعة إلا قبل ما يقارب العشرين سنة حيث كانوا عرباً رحلا ينتقلون بين دجلة والفرات فى جنوبى العراق فى المكان المسمى به « الجزيرة » طلباً للكلا والرعى لإبلهم ومواشيهم.

٣ — ويقول الإمام الشيخ عبد المهدى مطر الخفاجى من رسالة بعث بها إلى من العراق(١):

تقطن عشيرة خفاجة فى ثلاث مواقع مهمة فى العراق :

---

(١) من قلم الإمام الشيخ عبد المهدى مطر الخفاجى — العراق — من رسالة بعث بها إلى المؤلف.

الأول وهو أهم المواقع وأكثرها عددا ولعله الأصل فى تفرع الموقعين الآخرين منه ، هم خفاجة الذين يقطنون فى لواء المنتفك (المنتفق) بين بلدة الناصرية وبلدة الشطرة .

والثانى وهو يقع فى الدرجة الثانية عدداً وكثرة وهم خفاجة الذين يقطنون فى لواء الحلة ، ولعل فى التاريخ ما يدل على أن هؤلاء هم الأصل ومنهم تفرعت الفروع الأخر .

والثالث وهو يقع فى الدرجة الثالثة فى العدد والكثرة وهم خفاجة (غرب الدغافيل) الذين يسكنون بالقرب من بلدة (الشنافية) التابعة للواء (الديوانية) وهناك أشتات متفرقة من خفاجة يسكن بعضها بضواحى بغداد وبعضها فى نواحى [illegible] (السبخاية) وفى أمكنة أخرى ، لكن المهم منها هو الفروع الثلاثة المتقدمة .

لقد كثرت عشيرة خفاجة وانتشرت فى الأرض حتى ضرب فيهم المثل بين الناس فى التفرق والهجرة وقد اشتهروا فى العزة واكرام الضيوف حتى ضرب فيهم المثل (خطار خفاجة أقوى من معازيبه) والخطار هو الضيف والعزب صاحب المحل .

ولقد حدث قبل أعوام أن أحد المعممين فى النجف وليس من أهل العلم ولا الثقافة فتح له سجلا لتدوين أسماء البيوت التى تسكن بلدة النجف من عشيرة خفاجة ، ولا يعرف بعضهم بعضا فتجاوز سجله عن الثلاثمائة بيت منهم أهل الثروة ومنهم الرؤساء وأكثرهم من الكسبة والعمال والضعفاء

ولقد حدثني شيخ من شيبتهم الذين كانوا يترددون في السفر إلى بلاد إيران لزيارة الإمام الرضا المدفون في خراسان ، حدثني أنه وجد كثيراً من عشيرة خفاجة يقطنون في الأراضي الإيرانية وأنهم أكرموه لما علموا أنه خفاجي وكان هذا الشيخ المرحوم (الحاج نهار) من عشيرة الشيخ صكبان وكان يقول : إن عشيرة خفاجة في إيران يمتازون بالسخاء والكرم اللذين لا مثل لهما(١) .

---

(١) منطقة الخفاجية مركز بني طرف الخفاجيين — ٢١٦ ح١ الأحواز — علي نعمة — ط النجف ١٩٧٠ ، ومدينة الخفاجية في الأهواز نسبة إلى خفاجة ولخفاجة مساكن في الأفلاج جنوب الرياض بنحو ٣٠٠ ك م .

وفي كتاب تاريخ إمارة كعب العربية ذكر لخفاجة — وكعب من خفاجة (ص ٣١ تاريخ إمارة كعب — ت علي نعمة — وعن خفاجة راجع ٧٧ — ٤/٨٢ كتاب الأحواز لعلي نعمة .

ومن خفاجة معين بن يزيد الخفاجي وهو صحابي جليل ٤/٤١٢ أسد الغابة لابن الأثير .

التاريخ السياسي لبني خفاجة في العراق

وبدايات ظهور الدولة الخفاجية

أقام بنو خفاجة — كما رأينا — في العراق بالحلة، وبضواحي الكوفة، واستقروا بها، وتناسلوا، وكثر عددهم، وصاروا من أكثر القبائل العربية بها شوكة وسلطانا، كما تدل على ذلك الكثرة من المصادر التاريخية الوثيقة، التي تدلنا على مكانه الأسرة الخفاجية بعد الإسلام لاسيما في القرن الرابع الهجري.

ويقول ابن خلدون فيلسوف التاريخ : كان بنو عقيل وبنو كلاب وبنو نمير وبنو خفاجة وكلهم من عامر بن صعصعة قد انتشروا مابين الجزيرة الفراتية والشام؛ واستفحل أمرهم عند فشل دولة بنى حمدان وصاروا إلى ملك البلاد(١).

ونحن لا نعلم شيئاً عن ظروف إقامتهم بالشام، وما أحاط بهم فيها من أحداث تاريخية، ولكنه قد وصلنا الكثير عن الأمير عبد الله بن سنان الخفاجي الإمام الأديب الناقد المشهور مؤلف كتاب (سر الفصاحة) وتلميذ أبي العلاء المعرى وأحد حكام ولاية بالشام.

والأمير ابن سنان من بنى حزن الخفاجيين، وكان بين بنى حزن وأبناء أعمامهم بنى كعب الخفاجيين خلافات شديدة في العراق كما علمنا من قبل، كما كان بينهم وبين أبناء أعمامهم من بنى عقيل وبنى كلاب كثير من

(١) ٢٥٥ ج ٤ تاريخ ابن خلدون.

الخصومات ، ولعل ذلك كان السبب فى هجرتهم من نجد أو أرض العراق إلى الشام فى القرن الثالث الهجرى (٢٠١ - ٣٠٠ هـ) ، ولما قامت دولة بنى حمدان بحلب كان بنو خفاجة خاضعين لحكمها فلما ضعف الحمدانيون زاد نفوذ بنى خفاجة وحكموا البلاد كما يقول ابن خلدون .

ومن كلام ابن خلدون ومن دراستنا لحياة الأمير ابن سنان الخفاجى نعلم أن إقامة الأسرة كان فى العراق بالقرب من الكوفة ، وفى الحلة ، وفى حلب من بلاد الشام . والذين كانوا فى حلب كانوا على أية حال أبناء أعمام للأسر الحاكمة فى الكوفة والموصل والحلة .

ويقول أحد الخفاجيين المعاصرين ، وهو الشيخ فيصل الخفاجى المقيم بجوار حلب .

« أصل الخفاجيين من بنى عامر المعروفين فى الحجاز منذ العهد الجاهلى . وقد ذكر ذلك كتاب (السبائك الذهبية فى أنساب القبائل العربية) . وأول من اشتهر منهم فى التاريخ الإسلامى الأمير الخفاجى عامر الملقب بسلطان البرانين وكان قصره « الأخضر » بين (الكبيسة وكربلاء) ولا تزال آثاره قائمة حتى الآن . وقد هاجر ولده ضرغام بن الخفاجى عامر إلى سوريا واستقر فى : مسكنة ، وهى بعيدة عن حلب بـ ٨٠ كم . وتزوج ابنة أميرها .

قيام الدولة الخفاجية فى العراق

فى القرن الرابع الهجرى

— ١ —

كان العالم الإسلامى خلال القرن الرابع تتناوبه عدة دول كبيرة :

فنى الأندلس ملوك بنى أمية وملوك الطوائف الأندلسيون .

وفى الغرب ومصر والشام والحجاز ملوك الفاطميين الذين اتخذوا القاهرة عاصمة لملكهم العظيم من عام ٣٦٢ هـ .

وفى بغداد وضواحيها الخلافة العباسية التى كان الحكم فيها اسما للخليفة وإن كان فى الواقع أمور الحكم كلها فى يد البويهيين ثم الأتراك الذين استبدوا بالخلافة العباسية وأقاموا فى بغداد وجمعوا فى أيديهم كل السلطات وأقصوا الخلفاء عن شئون الملك والسياسة وقصروهم على مظاهر الخلافة ونفوذها الروحى .

وبجانب هذه الدول قامت دويلات أخرى :

١ — فنى حلب قامت دولة بنى صالح بن مرداس الكلابيين(١) التى

---

(١) راجع تاريخها مفصلا : فى ابن خلدون ٢٧١ — ٢٧٥ ج ٤ .
وفى أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء ٣١٥ — ٣٤٤ ج ١ ، وفى ٥٨ — ٦٦ تجديد ذكرى أبى العلاء لطه حسين ط ١٩٣٧ .

وورثت ملك الحمدانيين(١) فى حلب ، وقد ابتدأت دولة صالح بن مرداس الكلابى من عام ٤٠٢ ﻫ حيث استولى على حلب فى قصة تاريخية تشبه السحر والأساطير ذكرها ابن الأثير فى تاريخه(٢) ، ولكن الدولة الفاطمية ناوأته حتى كان عام ٤١٤ ﻫ فاجتمع أمراء العرب : حسان أمير طىء ، وصالح أمير بنى كلاب ، وسنان بن عليان ، وتحالفوا على أن يكون من حلب إلى عانة لصالح ومن الرملة إلى مصر لحسان وتكون دمشق لسنان ، وهذا تم سنة عام ٤١٤ ﻫ(٣) وملك صالح حلب فى هذا العام وظل حاكما لها .

وفى عام ٤٢٠ ﻫ قتل صالح فى حرب بينه وبين الفاطميين بالأقحوانة على الأردن عند طبرية وقتل معه ولده الأصغر ونجا ابنه الآخر أبو كامل نصر بن صالح حيث عاد إلى حلب وملكها وكان يلقب شبل الدولة واستمر

---

(١) ابتدأت الدولة الحمدانية بالموصل سنة ٢٩٣ ﻫ ثم ملكت الموصل وحلب سنة ٣٣٣ ثم انهارت بعد موت سيف الدولة سنة ٣٥٦ حيث خلفه أبناؤه وكانوا دونه فى البطولة والسياسة واختلفوا فيما بينهم على العرش وجاورهم دول قوية زعزعت عرشهم فانتهى أمرهم سنة ٣٩٤ ﻫ .

(٢) ٨٤ - ٨٧ ﺟ ٩ ابن الأثير ، وكان صالح قبل ذلك أمير الرحبة وهو من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وقد أقام بالرحبة دعوة الفاطميين العلويين (راجع ٢٧١ ﺟ ٤ ابن خلدون) .

(٣) راجع ٨٠ و ٨٦ ﺟ ٩ ابن الأثير .

على عرشها إلى عام ٤٢٩ حيث قتل فى حرب مع الفاطميين الذين استولوا عليها إلى سنة ٤٣٣ هـ وفى عام ٤٣٤ هـ ملك ثمال بن صالح بن مرداس حلب من أيدى الفاطميين وكان قبل ذلك مقيما بالرحبة ولقب نفسه معز الدولة واستمر على عرش حلب إلى عام ٤٤٠ هـ حيث استعادها منه الفاطميون فى حرب عنيفة ، ولكن جيش الفاطميين انهزم فى حرب مع جيوش بغداد فعاد ثمال إلى عرشه فى حلب . وأخيراً اتفق معز الدولة المسيطر على شئون الخلافة العباسية فى بغداد مع الفاطميين على أن يترك لهم حلب فتسلموها من ثمال عام ٤٤٩(١)، وسار ثمال فى ذى الحجة من هذا العام إلى مصر وسار أخوه عطية بن صالح إلى الرحبة ، ثم استعادوا عرش حلب ثانيا من أيدى الفاطميين وتولى ملكها محمود بن نصر بن صالح عام ٤٥٢ هـ ، فأرسل إليه الفاطميون جيشاً آخر بقيادة عمه ثمال بن صالح الذى حاصره فى آخر عام ٤٥٢ هـ فاستنجد محمود بخاله منيع بن شبيب بن وثاب النميرى(٢) أمير حران ففر ثمال إلى البادية فى محرم ٤٥٣ هـ ، ولما عاد منيع النميرى بجيشه إلى حلب فأخذها من ابن أخيه بعد قتال عنيف وحكمها باسم الفاطميين وظل

---

(١) تسلمها أبو على الحسن بن ملهم الملقب مكين الدولة نائب الخلافة الفاطمية (٦٥ تجديد ذكرى أبى العلاء) . . وللأمير ابن سنان الخفاجى قصائد فيه .

(٢) كانت أم محمود منيعة بنت وثاب النميرى (راجع ٢٤ ج ١٠ ابن الأثير) .

بها إلى أن توفى بها عام ٤٥٣ هـ ، فملك عرش حلب بعده أخوه عطية بن صالح ولكن محموداً حاصر حلب عام ٤٥٤ ففر منهما عمه عطية وذهب إلى الرقة وملكها(١)، ودخل محمود حلبا وظل ملكا عليها وتوسع فى الفتح ثم مات سنة ٤٦٨ فى حلب ووصى بالملك بعده لابنه.

ولكن أخاه الأكبر نصر استولى عليها وجده لأمه الملك العزيز بن الملك جلال الدين بن بويه، وقتل نصر فملك العرش بعده أخوه سابق إلى عام ٤٧٢ هـ حيث أخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلى عام ٤٧٢ وانقرضت دولة بنى صالح منها(٢).

٢ — وبجانب دولة الكلابيين فى حلب قامت دولة العقيليين فى الموصل(٣) (٢٨٦ - ٤٨٩ هـ) ، وكان قيامها على يد أبى محمد بن المسيب العقيلى الذى استولى على الموصل عام ٣٨٠ هـ(٤) وظل يحكمها إلى أن مات سنة ٣٨٦ فخلفه أخوه المقلد (٣٨٦ — ٣٩١هـ) ولقب حسام الدولة وكان

(١) ثم سار الأمير عطية إلى بلد الروم (القسطنطينية) ومات بها سنة ٤٨٥هـ.

(٢) راجع ٨٦ و ٨٧ حـ٩ ابن الأثير ، ابن خلدون ٢٧١ - ٢٧٥ - ٤.

(٣) أخبارها فى ابن خلدون ٣٥٤ - ٢٧٠ حـ ٤ ، ولخاشع عبادة رسالة ماجستير من آداب القاهرة عام ١٩٦٦ عن « دولة بنى عقيل فى الموصل » . بإشراف د/م. ج. سرور.

(٤) راجع ٢٨ حـ ٩ ابن الأثير.

تحت حكمه كثير من البلاد كالموصل والكوفة وسواهما وعظم شأنه وطمع في ملك بغداد(١) فقتله مواليه الأتراك عام ٣٩١ هـ، فتولى حكم البلاد بعده ابنه معتمد الدولة قراوش بن المقلد (٣٩١ - ٤٤١هـ) حيث ظهر في عام ٤٤١هـ خلاف بين قرواش بن المقلد وأخيه أبي كامل بن المقلد فاستولى أبو كامل على مملكة أخيه قرواش(٢) عام ٤٤٣ هـ فتولى الملك بعده ابن أخيه قريش ابن بدران بن المقلد وتوفي قريش عام ٤٥٣ هـ، فخلفه ابنه مسلم بن قريش العقيلي ولقب شرف الدولة وحكم الموصل وقتل عام ٤٧٨ هـ بعد حرب شاقة بينه وبين فخر الدولة وجيوش بغداد سنة ٤٧٧ هـ هزم فيها قريش ونهبت أموال بني عقيل وأسر منهم كثير حتى افتك اسرهم صدقة الأسدي أمير الحلة، وكان شرف الدولة قد اتسع ملكه وكانت بلاده في غاية الخصب والأمن وكان حسن السياسة كثير العدل(٣). وخلفه على بلاده أخوه إبراهيم عام ٤٨٢ هـ، ولكن السلطان ملك شاه استدعاه إلى زيارة بغداد وفي أثناء الزيارة اعتقله وأقطع محمد بن شرف الدولة مسلم العقيلي مدينة الرحبة وحران وسروج والرقة والخابور وزوجه بأخته خاتون

(١) راجع ٦١ حـ ٩ ابن الأثير، ٤٧ حـ ٩ أيضاً.

(٢) وتوفي قرواش عام ٤٤٤ هـ ودفن بتل توبة من مدينة نينوى شرق الموصل وكان من رجال العرب وذوي العقل وله شعر حسن (٢١٩ حـ ٩ ابن الأثير).

(٣) راجع ٢٦٩ حـ ٥ ابن خلدون، ٥١ حـ ١٠ ابن الأثير.

وبعد أن قتل ملك شاه خرج إبراهيم من الاعتقال وعاد إلى الموصل فملكها من ابن أخيه على بن مسلم العقيلى[1] ولكن تتش صاحب الشام وأخا ملك شاه حاربه وهزمه بالمغيم وقتل إبراهيم فى المعركة وقتل كثير من نساء العرب أنفسهم خوفا من الفضيحة واستولى تتش على الموصل وأعاد على بن مسلم العقيلى ولكن كربوقا انتزعها من[2] يده سنة ٤٨١ ه وبذلك انقرض ملك بنى عقيل بالموصل بعد أن استمر مائة عام .

٣ — وبجانب هاتين الدولتين قامت دولة بنى مزيد الأسدى بالحلة (٤٠٣ - ٥٤٧) ، ابتدأت هذه الدولة بالحسن بن مزيد وكان يتولى حماية جزء من أرض العراق للخلافة العباسية وخلفه ابنه على بن مزيد (من ٤٠٥ إلى ٤٠٨) ثم قام بعده ابنه نور الدولة أبو الأغر دبيس[3] بن على بن مزيد الأسدى الذى ظل فى الحكم من سنة ٤٠٨ إلى عام ٤٧٤ حيث توفى عن ثمانين عاما وطالت مدة إمارته وكان ممدحا ورثاه الشعراء ، وولى بعده ابنه أبو كامل منصور بن دبيس ولقب بهاء الدولة ولكنه مات سنة ٤٧٩ فتولى بعده ابنه صدقة بن منصور الأسدى وهو الذى بنى مدينة الحلة بالعراق[4] وقد عظم أمره بين الملوك وكان جواداً حليما عادلا فى رعيته.

---

(١) راجع ٢٧٠ ح ٤ ابن خلدون .

(٢) ٨١ ح ٥ ابن خلدون .

(٣) راجع ١١٤ ح ٩ ابن الأثير .

(٤) بناها عام ٤٩٥ ه وسكنها - ١٣١ ح ١٠ ابن الأثير .

كما يقول ابن خلدون وقتل فى معركة حربية بينـه وبين جيوش السلطان(١) عام ٥٠١ هـ وشتت شمل بلاده وعائلته ، ثم تمكن ابنه دبيس ابن صدقة أن يعود إلى حكم بلاده عام ٥١١ هـ وقتل عام ٥٢٩ فتولى بعد ابنه صدقة بن دبيس وقد زوجه السلطان مسعود بنته عام ٥٣٠ ثم قتل وتولى بعده أخوه محمد بن دبيس فاستقام أمره ثم تغلب عليه أخوه على بن دبيس وأخذ الحلة منه عام ٥٣٦ هـ ، وفى عام ٥٤٢ هـ أخذ السلطان الحلة من يد على وأعادها إلى أخيه محمد وتوفى على عام ٥٤٥ هـ ، وفى عام ٥٤٧ ملك سلاركرد الحلة فانقرضت دولة بنى مزيد الأسديين بعد أن حكمت نحو قرن ونصف من الزمان .

٤ — وبجانب هذه الدويلات قامت دولة بنى وثاب النميريين فى حران وما جاورها من البلاد ، وكان من ملوكها وثاب بن سابق النميرى م ٤١٠ هـ ثم ابنه شبيب بن وثاب النميرى صاحب حران وسروج والرقة والمتوفى عام ٤٣١ ، ثم ابنه منيع بن شبيب الذى حكم البلاد إلى عام ٤٥٣ هـ ، ثم أخذ شرف الدولة مسلم العقيلى مدينة حران عام ٤٧٤ هـ من يد بنى وثاب النميريين .

٥ — وبجانب هذه الدويلات قامت دولة الخفاجيين فى ضواحى الكوفة وسقى الفرات .

---

(١) راجع ١٦٥ - ١٦٩ جـ ١٠ ابن الأثير ، والجزء الرابع من ابن خلدون فى كلامه على دولة بنى مزيد بالحلة .

وفى القرن الرابع كانت الحوادث كثيرة تدل على مجد الخفاجيين ونفوذهم السياسى وبطولتهم الحربية ، مما جعل قيام الدولة الخفاجية أمراً متفقاً مع الأحداث الجارية ، ومن أحداث التاريخ فى القرن الرابع بالنسبة للدولة الخفاجية ما يلى :

١ — فى عام ٣٥٦ ﻫ اجتمع بنو خفاجة إلى الحلة والكوفة ، وطالبوا بإعطائهم إقطاعيات ينالون منها ما يكفيهم من الثروة والمعاش والتموين ، وكان على الكوفة أرغش ، وعلى الحلة قيصر ، وهما من مماليك الخليفة العباسى المستنجد فى بغداد ، فمنعوا بنى خفاجة ، فأخذوا بالقوة ما يريدون ، فخرجوا إليهم فى أثرهم ، واتبعوهم إلى الرحبة ، فطلبوا الصلح ، فلم يجبهم أرغش ولا قيصر ، فقاتلهما بنو خفاجة ، وهزموا عساكرهما ، وقتل قيصر ، وهرب أرغش إلى الرحبة ، فاستأمن له واليها من بنى خفاجة ، فجهزت خلافة بغداد جيشاً بقيادة عون الدين هبيرة ، لطلب خفاجة ، فدخلوا البادية ، وسارت خفاجة إلى البصرة ، ثم حدث صلح بينهم وبين قائد الخليفة(١) .

٢ — وفى عام ٣٧٤ ﻫ قلد الخليفة العباسى فى بغداد الأمير أبا ظرف عليان بن ثمال الخفاجى حماية الكوفة ، وبذلك قامت الدولة الخفاجية ، وذلك هو أول إمارة بنى ثمال الخفاجيين ، وبدء ظهور

(١) ٣/٥٢٣ تاريخ ابن خلدون .

الدولة الخفاجية(١) فى العراق وامتداد نفوذها إلى سق الفرات وإلى حلب .

٣ — فى عام ٣٨٦ هـ اجتمع بنو عامر بن صعصعة ، وقصدوا البصرة للقيام بغارة عليها ، وعاثوا فيها قتلا ونهباً ، ثم بلغ بنى عامر أن بنى خفاجة وبنى المنتفق قد ساروا لقتالهم ، فرحلوا إليهم ، وقاتلوهم ، فهزموهم ، وعادوا إلى البصرة ، فنهبوها ورحلوا عنها(٢) .

٤ — تنازع المقلد وأخوه الحسن أمراء بنى عقيل فى الموصل على الملك عام ٣٨٧ هـ فحارب المقلد أخاه الحسن ومعه بنو خفاجة فهرب الحسن إلى العراق(٣) .

٥ — فى عام ٣٩١ هـ سار قرواش العقيلى أمير الموصل إلى الكوفة فأوقع ببنى خفاجة عندها وقعة عظيمة فساروا بعدها إلى الشام فأقاموا هناك حتى أحضرهم أبو(٤) جعفر الحجاج(٥) .

٦ — فى عام ٣٩٢ هـ حارب قرواش العقيلى أمير الموصل جيش بهاء الدولة وكان قائد جيش بهاء الدولة هو أبو جعفر الحجاج فاستنجد الحجاج

---

(١) راجع ٩/١٥ تاريخ ابن الأثير .

(٢) ٣/٥٣٠ تاريخ ابن خلدون .

(٣) راجع ٥٠ و ٥١ حـ ٩ ابن الأثير .

(٤) راجع ٦٢ حـ ٩ ابن الأثير .

(٥) توفى أبو جعفر هذا عام ٤٠٠ هـ .

بنى خفاجة وأحضرهم من الشام فاجتمعوا معه واقتتلوا بنواحى « باكرم » فى رمضان ، فانهزمت الديلم والأتراك الذين كانوا فى جيش أبى جعفر فجمع أبو جعفر جيشه وخرج إلى بنى عقيل وحليفهم ابن مزيد الأسدى والتقوا بنواحى الكوفة واشتد القتال بينهم فانهزمت بنو عقيل وقتل منهم خلق كثير وأسر مثلهم الخ(١).

٧ — فى عام ٣٩٣ قامت الحرب بين أبى جعفر الحجاج نائب بهاء الدولة على العراق وبين عميد الجيوش العباسية بنواحى النعمانية وكانت بنو خفاجة مع أبى جعفر فانهزم أبو جعفر ورجع إلى الكوفة واستنجد ببنى خفاجة واستنجد عميد الجيوش ببنى عقيل وبنى أسد ودارت بين الفريقين معركة طاحنة(٢).

٨ — فى محرم ٣٩٧ هـ قامت الحرب بين قراوش العقيلى أمير الموصل وبين أبى على بن ثمال الخفاجى وسببها أن قرواشا جمع جمعاً كبيراً وسار به إلى الكوفة وأبو على غائب عنها فدخلها ونزل بها ثم علم أبو على الخفاجى بالأمر.

فسار إليه واقتتلوا فانهزم قراوش وعاد إلى الأنبار مهزوما وملك أبو على الخفاجى الكوفة وأخذ أصحاب قرواش فصادرهم(٣).

---

(١) ٦٤ جـ ٩ ابن الأثير .

(٢) راجع ٦٥ جـ ٩ ابن الأثير .

(٣) راجع ٧٤ جـ ٩ ابن الأثير .

٩ ــ فى عام ٣٩٩ هـ قتل أبو على بن ثمال الخفاجى وكان الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ولاه الرحبة فسار إليها الخفاجى فخرج إليه عيسى ابن خلاط العقيلى فقتله فى معركة(١) ، والأمير ابن ثمال كان من أشهر الأمراء الخفاجيين فى دولة بنى خفاجة فى العراق .

١٠ ــ حدثت فتنة بالكوفة بين العلويين والعباسيين فاستمد كل واحد منهم بنى خفاجة فأمدوهم وافترقوا عليهم واقتتل العلويون والعباسيون(٢) .

(١) راجع ٧٨ و ٧٩ جـ ٩ ابن الاثير ، ٢٥٧ جـ ٤ ابن خلدون .

(٢) راجع ٤٤٥ جـ ٣ ابن خلدون .

ولعل هذه الفتنة هى التى أشار إليها ابن الاثير فى حوادث عام ٤١٥ هـ ٤٢٥ هـ جـ ٩ .

ملوك الدولة الخفاجية

فى القرن الرابع الهجرى

هكذا وكما رأينا كانت فروع بنى خفاجة الضخمة فى العراق وحوالى الكوفة تحتل مكانا كبيراً فى الحياة الإسلامية والعربية منذ بداية القرن الرابع الهجرى (٣٠١ — ٤٠٠ هـ) .

ولما ضعفت الخلافة العباسية عن حفظ ماتحت يدها من بلاد وأقطار ألقت العبء على عظماء هذه البلاد وكبار الأسر والقبائل فيها .

وكان ممن ألقت إليهم الخلافة العباسية مقاليد الأمور بنو خفاجة فى الكوفة ونواحيها وكان أول أمير خفاجى قام بهذا العبء هو الأمير أبو طريف الخفاجى عام ٣٧٤ هـ .

١ — الأمير أبو طريف الخفاجى

٣٧٤ — ٣٩٠ هـ

هو أبو طريف عليان بن ثمال الخفاجى .

شخصية بارزة فى تاريخ الأسرة وكان عميد بنى خفاجة وله مكانة واسعة بين أمراء العرب ، وقلده الخليفة حماية الكوفة سنة ٣٧٤ هـ ، وهى أول أمارة بنى ثمال(١) الخفاجيين ، وبدء ظهور الدولة الخفاجية ، وأبو طريف هو أول ملوكها الحاكين الأمراء .

---

(١) ١٤ جـ ٩ ابن الأثير.

٢ ــ الأمير أبو على الخفاجى

٣٩٠ ــ ٣٩٩ هـ

هو أبو على بن ثمال الخفاجى .

تولى رئاسة بنى خفاجة بعد أخيه أبى طريف الخفاجى وفى عام ٣٩٧ تولى قيادة الحرب بينه وبين قرواش العقيلى صاحب الموصل ، وسببها كما يقول ابن الأثير أن قرواشا غزا الكوفة ودخلها وأبو على الخفاجى غائب عنها فلما وصله الخبر سار إلى قرواش والتقى به فى معركة هزم فيها قرواش وفر إلى الأنبار فملك أبو على الكوفة وأسر كثيراً من أصحاب قرواش(١).

وقلد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله أبا على بن ثمال الخفاجى عام ٣٩٩ ولاية الرحبة فسار إليها فخرج إليه عيسى بن خلاط العقيلى بجيش كبير فقتله وملك الرحبة من يده(٢).

٣ ــ الأمير سلطان الخفاجى

٣٩٩ ــ ٤١٥

وهو الأمير سلطان بن ثمال الخفاجى، تولى أمور بنى خفاجة بعد أبى على الخفاجى سنة ٣٩٩ وتوجه هو وأخواه : علوان ورجب أولاد ثمال الخفاجى ، على رأس وفد كبير من أعيان عشائر بنى خفاجة إلى الملك فخر الدولة لما فتح دير العاقول سنة ٤٠٢ هـ، وضمنوا له حماية سقى الفرات ودفع

(١) ٧٤ حـ ٩ ابن الأثير .

(٢) ٧٨ و ٧٩ حـ ٩ ابن الأثير ، ٢٧٥ حـ ٧ ابن خلدون .

بنى عقيل عنها وساروا معه إلى بغداد فأكرمهم وخلع عليهم وأشار عليهم بالمسير مع ذى السعادتين إلى الأنبار فساروا معه فلما صاروا بنواحى الأنبار أرادوا أن يوسعوا نفوذهم فيها فأغاروا على بعض من نواحيه فقبض ذو السعادتين على نفر منهم ثم أطلقهم ، فدبر سلطان الخفاجى مكيدة للقبض على ذى السعادتين فوصل إلى ذى السعادتين الخبر فصنع مأدبة كبيرة دعا إليها جماعة من أعيان بنى خفاجة وفى أثنائها أمر أصحابه بقتل كثير منهم ففعلوا وقبض على سلطان ونهب بيوتهم وما فيها وحبس سلطان ومن معه ببغداد حتى شفع فى إطلاقهم الحسن بن مزيد الأسدى وبذل مالا عنهم فأطلق الملك فخر الدولة أسر الأمير سلطان ومن معه (١) .

معارك عام ٤٠٢ هـ

لم ينس بنو خفاجة هذه الحادثة الكبيرة التى تمس كرامتهم فانتهزوا فرصة قافلة الحجاج القادمة من بغداد سنة ٤٠٢ هـ ، وكان فيها كثير من جنود الخلافة وكثير من الأموال الخاصة بدولة الخلافة العباسية فسارت بنو خفاجة إلى واقصة وتعرضت لهذه القافلة ومنعوا عنهم الماء ثم قاتلوهم ولم يسلم منهم إلا اليسير فأرسلت بغداد جيشا كبيراً للفتك ببنى خفاجة وأمرت الحسن بن مزيد الأسدى بمحاربتهم فأوقع بهم قرب البصرة بأمر فخر الدولة وقتل وأسر من بنى خفاجة جمعا كثيراً (٢) .

---

(١) راجع ٧٨ و ٩٨ ج ٩ ابن الأثير .

(٢) « ٨٨ ج ٩ ابن الأثير .

معارك عام ٤٠٤ هـ

وفى هذه السنة جاء الأمير سلطان بن ثمال الخفاجى واستشفع بأبى الحسن بن مزيد إلى فخر الدولة ليرضى عنه فأجابه إلى ذلك فأخذ عليه العهود بلزوم الهدوء وإطاعة أوامر الخليفة فلما خرج وصلت الأخبار إلى بغداد بأن بنى خفاجة لا يقبلون صلحا مع فخر الدولة وأنهم يريدون أن ينتقموا لكرامتهم وأنهم نهبوا سواد الكوفة وقتلوا طائفة من الجند فسير إليهم فخر الدولة جيشا كبيراً وكتب إلى ابن مزيد بمحاربتهم فأوقع بهم بنهر الرمان وأسر محمد بن ثمال الخفاجى وجماعة معه من أعيان بنى خفاجة، ونجا الأمير سلطان الخفاجى، ودخل الأسرى بغداد مقيدين بأغلال وحبسوا ثم هب على المنهزمين من بنى خفاجة ريح شديدة حارة قتلت منهم نحو ٥٠٠ رجل وأفلت منهم جماعة ممن كانوا قد أسروهم من الحجاج عام ٤٠٢ هـ.

معارك عام ٤١١ هـ

وفى سنة ٤١١ هـ قامت الحرب بين قرواش العقيلى أمير الموصل وبين غريب بن مقن(١). ودبيس الأسدى صاحب الحلة وكان معهما عسكر من بغداد فهزم قرواش ومن معه وأسر فى المعركة ثم نجا من الأسر وقصد الامير سلطان بن الحسين بن ثمال الخفاجى أمير بنى خفاجة فسار إليهم جيش من الاتراك فانهزم الخفاجى وقرواش ثم طلب قرواش الصلح من بغداد(٢).

---

(١) توفى سنة ٤٢٥ هـ فى كرخ سامرا وكان يلقب سيف الدولة وقام بالامر بعد ابنه أبو الريان.

(٢) راجع ١٢٠ جـ ٩ ابن الاثير، ٢٤٩ جـ ٤ ابن خلدون.

ملوك الدولة الخفاجية

فى القرن الخامس الهجرى

— ١ —

الأمير سلطان الخفاجى

يمكننا أن نعد الأمير سلطان الخفاجى من أوائل ملوك الدولة الخفاجية فى القرن الخامس الهجرى ، وقد سبق أن ذكرناه فى ملوكها فى القرن الرابع الهجرى ، لأن بداية حكمه كانت فى نهاية القرن الرابع .

— ٢ —

الأمير أبو الفتيان الخفاجى

٤١٥ — ٤٢٣ هـ

هو أبو الفتيان منيع بن حسان الخفاجى تولى أمور الدولة الخفاجية بعد سلطان الخفاجى .

وفى أيام حكمه وقعت عام ٤١٧ هـ حرب طاحنة بين قرواش العقيلى أمير الموصل ، وبين بنى خفاجة ومعهم بنو أسد .. حيث اجتمع دبيس ابن على بن مزيد الأسدى أمير الحلة وأبو الفتيان منيع الخفاجى أمير بنى خفاجة ، وجمعا عشائرهما ، وانضم إليهما جيش الخليفة العباسى فى بغداد ، وذلك لقتال قرواش بن المقلد العقيلى .. وكان سبب ذلك أن بنى خفاجة

تعرضوا لأعمال ولايات قرواش بالسواد ، فسار إليهم من الموصل ، وجاء دبيس وعسكر من بغداد ، فسار أبو الفتيان بهم ، فعلم قرواش أنه لا طاقة له بهم وبقتالهم ، ففر ليلا وسار مهزوما إلى الأنبار ، فاتبعوه ، فرحل عنها ، فاستولوا على الأنبار .. ثم تركوها فاستردها قرواش(١) .

وفى نفس عام ٤١٧ هـ ، وقعت الحرب ثانيا بين قرواش وبين خفاجة وسببها أن الأمير منيع الخفاجى أمير بنى خفاجة وصاحب الكوفة سار إلى الجامعين ، وهى لنور الدولة دبيس الأسدى فنهبها فخرج دبيس فى طلبه إلى الكوفة ففارقها وقصد الأنبار وهى لقرواش العقيلى فقاتل أهلها أبا الفتيان الخفاجى فلم يكن لهم ببنى خفاجة طاقة فدخلوا الأنبار ونهبوها وأحرقوا أسواقها ثم عادوا إلى الأنبار فأحرقوها مرة ثانية فخرج قرواش العقيلى ودبيس الأسدى فى عشرة آلاف مقاتل لقتال بنى خفاجة الذين كانوا فى ألف مقاتل فقط فلم يقدر قرواش وهو فى ذلك الجيش العظيم على بنى خفاجة وهم فى الألف ، ثم إن الأمير منيع الخفاجى سار إلى الملك كاليجار فأظهر له الطاعة فخلع عليه فأتى الخفاجى الكوفة فخطب فيها له وأزال حكم بنى عقيل عن سق الفرات(٢) .

معارك عام ٤٢٥ هـ

وفى عام ٤٢٥ هـ ، قامت الحرب بين نور الدولة دبيس الأسدى ملك

---

(١) ١٣١ و ٩/١٣٢ تاريخ ابن الأثير ، ٤/٢٥٨ تاريخ ابن خلدون .

(٢) ٤/٢٥٩ ابن خلدون ، ١٣٢ و ٩/١٣٣ ابن الأثير .

الحلة وأخيه ثابت ، فهزم دبيس وخرج من بلده فاجتمع معه بنو خفاجة وبنو أسد وساروا لإعادته إلى ملكه وولاياته ، فكانت حرب قتل فيها جماعة من الفريقين ثم اصطلحوا (١) .

— ٣ —

الأمير على الخفاجى

٤٢٣ — ٤٢٦ هـ

هو الأمير على بن ثمال أمير بنى خفاجة ، وفى عام ٤٢٦هـ فى ذى الحجة وثب عليه الحسن ابن أخيه الحسن بن أبى البركات بن ثمال الخفاجى فقتله وقام بإمارة بنى خفاجة بعده (٢) .

— ٤ —

الأمير الحسن الخفاجى

٤٢٦ — ٤٤٠ هـ

قام بأمور بنى خفاجة بعد عمه ، وفى سنة ٤٢٦ هـ سارت بنو خفاجة بقيادته إلى البصرة فنهبوها وأرادوا تخريبها وذلك نكاية فى أمراء بنى عقيل (٣) .

---

(١) ٩/١٦٣ ابن الأثير .
(٢) ١٦٥ و ١٦٦ حـ ٩ ابن الأثير .
(٣) راجع ١٦٦ حـ ٩ ابن الاثير .

— ٥ —

الأمير منيع الخفاجى

٤٤٠ — ٤٤٦ ﻫ

هو الأمير منيع بن منيع بن حسان أمير بنى حفاجة :

وفى عهد إمارته فى عام ٤٤٦ ﻫ قصد بنو خفاجة تهديد دولة بنى أسد فأغاروا على « الجامعين » وهى من ولايات نور الدولة دبيس الأسدى ملك الحلة فاستنجد دبيس بالبساسيرى قائد جيوش الخلافة فجاء بنفسه وعبر دبيس الفرات معه وقاتلوا بنى خفاجة وأجلوهم عن « الجامعين » فدخلوا بادية نجد فاتبعوهم إلى خفان وهو حصن فيها وأوقعوا بهم فيه وحاصروا الحصن ثم اقتحموه وقتلوا من بنى خفاجة ونهبوا أموالهم وجمالهم وعبيدهم وإماءهم وشردوهم ، ورجع البساسيرى بغداد ومعه خمسة وعشرون رجلا من بنى خفاجة أسرى وقتل منهم جماعة وصلب منهم جماعة ثم توجه إلى حربى لحاصرها وفرض عليها أموالا فالتزموها وأمنهم(١) .

— ٦ —

الأمير محمود خفاجى

٤٤٦ — ٤٦٥ ﻫ

هو محمود بن الأخرم الخفاجى .

تولى إمارة بنى خفاجة بعد الأمير منيع ، وقد أراد أن يغسل هذه الإهانة الكبيرة فخطب فى بلاده للخليفة الفاطمى المستنصر بالله العلوى صاحب مصر

(١) ٢٧٨ و ٢٧٩ ج ٤ ابن خلدون ، ٢٢٤ ج ٩ ابن الاثير .

، بشفاثا والعين ، وصار فى طاعته وخرج عن الولاء لبنى العباس(١) وذلك عام ٤٤٧ هـ وحرض نور الدولة دبيس الأسدى ففعل مثل ذلك .

ولكن السلطان طغرلبك استرضاه فعاد الأمير محمود ونور الدولة إلى حالهما الأول مع السلطان(٢) وذلك فى عام ٤٤٩ ، وفى عام ٤٥٢ خلع السلطان طغرلبك على الأمير محمود الخفاجى ورد إليه إمارة بنى خفاجة وولاية الكوفة وسقى الفرات وصرف عنها رجب بن منيع الخفاجى(٣).

وفى عام ٤٥٦ هـ تولى المعمر العلوى نقابة العلويين ببغداد ، وكان المرتضى العلوى قد استعفى منها وصاهر بنى خفاجة وانتقل معهم إلى البرية وتوفى عام ٤٧٢(٤).

— ٧ —

الأمير رجب بن منيع الخفاجى

هو الأمير رجب بن منيع بن حسان أمير بنى خفاجة بعد أبيه منيع وظل فى الإمارة إلى أن صرفه عنها السلطان وأعطاها للأمير محمود الخفاجى عام ٤٥٢ هـ وله ذكر فى التاريخ ، فقد هرب البساسير إلى ولاية دبيس الأسدى بعد أن غضب عليه السلطان فسير السلطان طغرلبك وراءه عسكراً وأنفذ معهم ابن منيع الخفاجى فواقعوا البساسيرى وأوقعوه عام ٤٥١ هـ(٥)

(١) ٢٣٠ حـ ٩ ابن الأثير . (٢) ٢٣٨ حـ ٩ ابن الأثير .

(٣) ص ٥ حـ ١٠ ابن الأثير . (٤) ١٦ حـ ١٠ ابن الأثير .

(٥) راجع ص ١٧ من تاريخ دولة آل سلجوق اختصار الأصفهانى المطبوع بشركة طبع الكتب العربية عام ١٩٠٠ م

بنو هلال والأمير الخفاجى بالعراق

تمهيد :

قبيل عام ٤٦٠ هـ حدثت مجاعة فى بلاد نجد استمرت سبع سنوات ، ففكر الهلاليون فى الهجرة من نجد إلى تونس لما بلغهم من خصبها وخيراتها وكان أميرهم السلطان حسن الهلالى(١) ، فأرسل أبا زيد الهلالى مع جماعة من الهلاليين إلى تونس عام ٤٦٠ هـ لمعرفة أحوالها قبل الرحلة إليها .

ولكن الهلاليين أسروا فى تونس ، فتخلص أبو زيد من الأسر وعاد إلى نجد ليستنجد بقومه لفك الأسرى ؛ فرحلت بنو هلال كلها إلى تونس.

الهلاليون فى ضيافة الأمير الخفاجى

رحل الهلاليون فى نحو أربعمائة ألف على ماتقول قصة أبى زيد الهلالى وقد ساروا من نجد إلى بلاد ابن مزيد الديبسى ، ثم واصلوا السير حتى وصلوا إلى بلاد الأمير الخفاجى عامر فى العراق ، وهنا تقول قصة « تغريبة بنى هلال » المطبوعة المعروفة مانصه :

« وذهب أبو زيد ويحيى ومرعى ويونس إلى الخفاجى عامر ، حاكم بلاد العراق ، وتلك البرارى والآفاق(٢) .

(١) كان متزوجا بنائلة أخت دياب وولدت منه مرعى ، وكان له ثلاث شقيقات هن : الأميرة عمرة وابنها يحى ، والأميرة سروة وابنها يونس ، والجازية وكانت زوجة للشريف ابن هاشم أمير مكة :

(٢) ص ٢١ تغريبة بنى هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب .

« وكان رجلا كريم الأخلاق ، فدخلوا وسلموا عليه ، ومثلوا بين يديه ، فرد عليهم السلام ، وأجلسهم بجانبه فى صدر المقام ، وأكرمهم غاية الإكرام ، ومدحه أبو زيد – وهنا تذكر القصة هذه المدائح – فأجازهم الجوائز الحسان ، وأقاموا عنده فى عز وإكرام ، ثلاثة أيام(١) » . .
وتقول أيضاً :
« وصل الهلالية إلى العراق ، وكان الحاكم على تلك البلاد رجلا من الأجواد قد اتصف بالفضائل وحسن المآثر ، يقال له الخفاجى عامر ، وكان يحكم على البصرة وبغداد والموصل والعراق وما يلى تلك البلاد ، وكان عنده من الأبطال والفرسان نحو مائتى ألف عنان »(٢)
« فبينما هو جالس فى الديوان وحوله الوزراء والأعيان ، أخبر بدخول بنى هلال دياره » ، ثم ظهر عليه الألم ، فاستشار وزيره عميرة فأشار عليه بأن يرسل إلى الأمير حسن يطلب منه عشر مامعه من أموال نظير السماح له ومن معه بالمرور فى بلاده ، فوافق الأمير الخفاجى ، وكتب للأمير حسن يطلب عشر المال والنوق والجمال والجوارى(٣) ، فأرسل الأمير حسن إلى الخفاجى خطاب مودة وإجلال يعبر فيه عن تقديره له ويرجو السماح له بالمرور فى بلاده فى رحلته إلى المغرب(٤) .

(١) ص ٢٢ المصدر نفسه .
(٢) ٩٤ من المصدر نفسه .
(٣) ٩٥ المرجع .
(٤) ٩٦ المرجع .

فعطف الخفاجي عليهم ، ورأى ألا يشهر الحرب فى وجوههم لأنهم عابروا طريق ، وركب الأمير الخفاجى فى جماعة من الابطال ، وركب معه والده الامير ضرغام للسلام على الامير حسن ، ورحب الخفاجى به وبقومه غاية الترحيب(١) .

ثم ركبت سادات بنى هلال مطاياهم والخفاجى عامر معهم ، ودخلوا بلده فى فرح وسرور ، وتفرقت عرب بنى هلال فى تلك الاراضى ، وأما الامير حسن والسادات فبقوا عند الخفاجى عامر على أكل وصعام مدة ثلاثة شهور(٢) . ثم استأذنوا فى الرحيل (٣) ، فعزم الخفاجى على السفر معهم إلى تونس لمساعدتهم فى تخليص أسرى الهلاليين(٤) ، ورحلت مع الخفاجى زوجته وابنته(٥) ، وساروا جميعا إلى حلب فالقدس فمصر فالصعيد فتونس وحارب بنو هلال ومعهم الامير الخفاجى الزناتى ملك تونس .

وبرز الخفاجى للزناتى فى يوم من الايام فتعادلا ، وكذلك فعل فى الثانى ، وفى اليوم الثالث ضعف الزناتى وولى هاربا من قدام الخفاجى(٦) .

(١) ص ٩٧ المرجع .
(٢) ٩٩ « «
(٣) ١٠٠ و ١٠١ المرجع .
(٤) ١٠١ و ١٠٢ « «
(٥) ١٠٤ المرجع .
(٦) ٣٢٤ « «

ورأى الخفاجى مناما أفزعه ، فتردد فى حرب الزناتى فى اليوم الرابع وأخيرا لبس وخرج لحربه(١). وهرب الزناتى أمامه ، فجرى خلفه الخفاجى، فخرج له كمين فضربه فخر الخفاجى صريعا(٢).

فأخذ بنو هلال جثة الخفاجى ، وأفزع المصاب ابنته ذؤابة فندبته فى بيته وبكته بكاءا حارا(٣).

وأخذ الخفاجى يتكلم وهو فى الرمق الاخير(٤) ثم فاضت روحه فحزنت العرب عليه ودفنته(٥).

خلاصة :

هذا هو ما تذكره قصة تغريبة بنى هلال عن أمير خفاجى كان يحكم بلاد العراق نحو عام ٤٦٠ هـ ، وهذا هو وصفها له وللمملكة وجيشه.

والقصة أساسها التاريخى صحيح ، ولكننا لا نزال نبحث عن مصادر تاريخية توضح لنا الامير الخفاجى الذى تقصده القصة لنستطيع أن نكمل جوانب هذا البحث التاريخى الواسع . ونحن نرجح أنه هو الامير محمود الخفاجى السابق الذكر .

---

(١) ٣٢٥ و ٣٢٦ المرجع.

(٢) ٣٢٧ المرجع.

(٣) ٣٢٧ » »

(٤) ٣٢٨ » »

(٥) ٣٢٩ » »

حرب عام ٤٨٥ ﻫ

وفى عام ٤٨٥ ﻫ، قدم الحجاج الكوفة ثم رحلوا عنها وكان فيهم أموال وجنود كبيرة للخلافة فخرجت عليهم بنو خفاجة فأوقعوا بهم ثم قصدوا الكوفة فدخلوها وأغاروا عليها فسيرت بغداد جيشا لمحاربتهم فلما سمع بنو خفاجة بهم انهزموا وأدركهم العساكر فقتل منهم خلق كثير ونهبت أموالهم وضعف بنو خفاجة ودولتهم بعد هذه الموقعة(١).

معارك عام ٤٩٩ ﻫ

بين بنى خفاجة وبنى عبادة بن عقيل

سببها أن رجلا من عبادة أخذ منه جماعة من بنى خفاجة جملين فطالبهم بهما فلم يعطوه شيئاً فأخذ منهم فى غارة أحد عشر جملا فلحقته بنو خفاجة فقتلوا رجلا من أصحابه وقطعوا يد رجل آخر وذلك بالموقف من بلاد الحلة بلد سيف الدين الأسدى، ففرق بينهم أهل البلد فتواعدت عبادة وانحدرت إلى العراق للأخذ بثأرها وهم فى سبعمائة فارس وكانت بنو خفاجة دون ذلك فراسلوهم يبذلون الدية ويصطلحون فرفض بنو عبادة فالتقوا واقتتلوا بالقرب من الكوفة فكمنت لهم بنو خفاجة فى ثلثمائة فارس وقاتلوهم مطاردة من غير جد فى القتال ثلاثة أيام ثم اشتد بهم القتال حتى اختلطوا وتركوا الرماح وتضاربوا بالسيوف فبيناهم، كذلك وقد أعيا الفريقان من القتال إذ طلع كمين بنو خفاجة وهم مستريحون فانهزم بنو

(١) ٨١ ﺣ ١٠ ابن الأثير.

عبادة وانتصر عليهم بنو خفاجة وقتلوا من وجوهم اثنى عشر رجلا وقتل من خفاجة جماعة وغنمت خفاجة أموالهم وما معهم من جمال وإبل وغنم وعبيد وإماء وكان الأمير صدقة الأسدى قد أعان بنى خفاجة سرا(١) .

معارك عام ٥٠٠ هـ

وفى ربيع الأول من سنة ٥٠٠ هـ ، وقعت حرب بين بنى خفاجة وبنى عبادة ومعهم سيف الدولة صدقة الأسدى .

وسببها أن صدقة أرسل ولده بدران فى جيش إلى طرف بلاده مما يلى البطيحة ، ليحميها من بنى خفاجة فقرب منه بنو خفاجة وتهددوا أهل البلاد التى تحت يده فكتب إلى أبيه يشكو منهم فأرسل إلى عبادة لتساعده فى قتالهم ولتأخذ بثأرها منهم فساروا فى مقدمة عسكره فأدركوا جماعة من بنى خفاجة من بنى كليب ليلا وهم غير متيقظين لم يشعروا بهم فقاتلوهم وصبرت بنو خفاجة فبينهم فى القتال إذ سمع طبل الجيش فانهزموا وقتلت عبادة من بنى خفاجة جماعة وكان فيهم عشرة من أمرائهم وتركوا حرمهم فأمر صدقة بحراستهن وحمايتهن وأخذت عبادة أموال بنى خفاجة خلفا لهم عما أخذوا منهم فى العام الماضى ، وأصاب بنى خفاجة من مفارقتهم بلادهم ونهب أموالهم وقتل رجالهم أمر عظيم وانتزحت إلى نواحى البصرة وقامت عبادة فى بلادهم وجاءت امرأة من بنى خفاجة إلى صدقة فقالت له : إنك سبيتنا وسلبتنا قواتنا وعريتنا وأضعت حرمتنا ، قابلك الله فى

---

(١) ١٤٩ و ١٥٠ حـ ١٠ ابن الأثير .

نفسك وجعل صورة أهلك كصورتنا ، فكظم صدقة الغيظ ووهب له أربعين جملا ، ولكن لم يمض غير عام حتى نزلت جيوش السلطان بصدقة فأخذت بلاده وشردت ملكه وقتلته وأسرت زوجته وأولاده وقابله الله في نفسه وأولاده(١).

وبعد فهذا هو تاريخ بني خفاجة الحافل في القرن الخامس الهجري أشبعنا الكلام عليه اعتمادا على المصادر التاريخية التي أمكن العثور عليها.

(١) راجع ١٥٧ و ١٥٨ جـ ١٠ ابن الأثير.

الأمير ابن سنان الخفاجى[1]

٤٢٠ — ٤٦٦ هـ

تمهيد :

ابن سنان هو الأمير العالم الشاعر الأديب أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن يحى بن الحسين بن محمود بن الربيع بن سنان بن الربيع الخفاجى .

---

(١) راجع ترجمته فى فوات الوفيات ٢٢٢ و ٢٣٥ حـ ١ ، وقد نقلت فى مقدمة ديوانه المطبوع بالمطبعة الأنسية ببيروت عام ١٣١٦ هـ (ص٢و٣ من الديوان) ، ونقلها أيضاً مؤلف «أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء» ص ٢٠١ — ٢٠٤ حـ ٤ .

وقد ترجم له كثير من علماء الأدب كجورجى زيدان وسواه ، وورد ذكره فى معجم البلدان عند الكلام على حلب ، كما ورد استطرادا فى معجم الأدباء ، وفى ص ٣٤٥ من حلبة الكميت للنواجى شعر له .

وقد ترجم الأستاذ كامل الفقى لابن سنان وحلل كتابه سر الفصاحة فى عدة مقالات نشرت بمجلة الأزهر عام ١٣٦١ — ١٣٦٢ هـ .

وخلاصة بحث الأستاذ كامل الفقى هى :

١ — حياة ابن سنان كما ذكره صاحب فوات الوفيات ، ومؤلفاته .

٢ — تحليل لكتاب سر الفصاحة وتعليق على نهج المؤلف فيه .

٣ — ذوق ابن سنان الفنى ، توفيته لما يعرض له من بحوث وفطنته =

وكتب على ديوانه عنه الشاعر المفلق الشهير، والكاتب النحرير، والخطيب المصقع، البليغ، الأمير أبى محمد الله بن سعيد بن محمد(١) المشهور بابن سنان الخفاجى الحلبى المتوفى عام ٤٦٦ هـ.

فإذا ما أردنا أن نعرف شيئاً عن ابن سنان، فإننا لا نظفر من كتب الأدب والتاريخ إلا بشيء يسير جدا من حياته، وهو أنه ولى قلعة عزاز للسلطان محمود، فشق عصا الطاعة عليه، واستقل بها، فاحتال السلطان حتى قتله مسموما سنة ٤٦٦ هـ.

وإذا ما رجعنا إلى ديوان الشاعر، وجدنا فيه ما يسد هذا النقص

= وتواضعه وبعده عن الفخر والزهو، وأمانته العلمية، ومن تأثر بهم ابن سنان من المتقدمين كالرمانى وقدامة والمبرد، وشيخ ابن سنان المعرى، وتأثر ابن الأثير بابن سنان، وتأثر الخطيب القزوينى به، وإثبات أن ابن سنان من المتكلمين.

وراجع ما كتبه سامى الدهان عن ابن سنان فى كتابه «قدماء ومعاصرون ص ٦٧ — ٨٣» وله تفسير لرحلة ابن سنان إلى القسطنطينية وهو تفسير تاريخى معقول، وقد كان ابن سنان وكتابه «سر الفصاحة» موضوعاً لرسالة الدكتوراه المقدمة إلى كلية اللغة العربية من الأستاذ د. عبد الحميد العبيسى، وكتبت رسائل فى كلية اللغة موازنة بين البلاغة عند ابن سنان والبلاغة عند علماء البلاغة.

(١) هذا خطأ فى ذكر النسبة من ناشر الديوان (راجع ص ١ من الديوان)

الكبير فى معارفنا عن ابن سنان وحياته وشخصيته ، مما نستطيع أن نلخصه لك فيما يلى :

ابن سنان من بنى خفاجة ، من سلالة بنى حزن الخفاجيين، أولاد خفاجة ابن عمرو بن عقيل ، يقول ابن سنان :

وبالشهباء من حزن بن عمرو   بيوت ما رفعن على لئيم(١)

وحلب كانت موطن فرع كبير ضخم من بنى خفاجة العقيليين العامريين، ولا ندرى متى استقروا فى حلب ، ولعل ذلك قد كان من أول القرن الثالث الهجرى أو قبله بقليل وكان بنو حزن يقيمون فى العراق والجزيرة الفراتية، ولعلهم رحلوا منها واستقروا فى حلب وهى قريبة جدا من هذه البلاد.

ويقول ابن سنان أيضاً :

يقول بنو حزن طلبنا لك العلا   فلم أخذت كفاك فى طلب الفقر(٢)

ويقول فى الحديث عن رجل :

وأشعث حيينا به غرة الضحى   وقد نشط التهويم عن غرة الركب
دعا آل حزن والرماح تنوشه   فياقرب ما لبيت بالطعن والضرب(٣)

---

(١) ص ١٠١ من الديوان . والشهباء هى حلب . وحزن بن عمرو : هم أجداده الخفاجيون .

(٢) ص ٢٧ الديوان .

(٣) ص ١٢ من الديوان .

ويقول(١).

وهل علمت بنو حزن بن عمرو إبای علی مشاورة الخطوب

وإذا فأسرة ابن سنان هی من بنی حزن أحد الفروع الكبيرة لقبيلة خفاجة العقيلية العامرية المشهورة، وهی قبيلة كبيرة لها تاريخها الحافل فی الحياة العربية قبل الإســــلام وبعده(٢). وموطنها حلب الشهباء عاصمة الحمدانيين ومقر العقيليين والخفاجيين، وإحدى ثغور الإسلام وموطن من مواطن العروبة والثقافة الإسلامية، وتاريخها حافل بالكثير من أعلام الدين واللغة والأدب والسياسة مما نجده مدونا فی كتب الأدب والتاريخ.

وجد مؤلفنا العالم الأديب الشاعر هو سنان الخفاجی العقيلی العامری، الذی كان مجده فی قومه مما تغنی به شاعرنا الأمير ابن سنان فی شعره.

ووالدته من أسرة مبارك التميمی أعز العرب من بنی تميم، وفی ذلك يقول ابن سنان يهدد أحد خصومه:

مهــــلا فإنك ما تعد «مباركا» خالا ولا تحصی سنانا والدا

بيت له النسب الجلی غــيره دعوی تريد أدلة وشواهدا

ويقول له:

ضلالك ما نسبت إلی «سنان» ولا ضربت خؤولك فی تميم

---

(١) ص ١٠ الديوان.

(٢) راجع كتاب «بنو خفاجة وتاريخهم السياسی والأدبی، الجزء الأول» ــ نشر المطبعة الفاروقية الحديثة عام ١٩٥٠، وكتاب «الخفاجيون فی التاريخ» للمؤلف ــ ط ١٩٧٤.

ويقول فى مجد جده سنان والربيع وأنه يعيش على الثروة التى خلفها له أجداده :

ميراث قومى كفانى بعد عهدهم فتوى الظنون بإحرام وإحلال
سقى الربيع ربيع جاد هاطله بكل أسحم ضافى الذيل هطال
وخص رمس سنان من مواهبه ببارد كسلاف الخمر سلسال
فقد أعانا على زهد بميسرة وأغنيانى عن شد وترحال

أما محمد والد ابن سنان فلا نعلم عنه شيئاً إلا فى قصيدة ذكر الديوان أنه نظمها فى صباه . ويقول فيها :

أنا ابن من لم يدع ذخرا لوارثه إلا الجياد وسمرا ذات زعزاع

وابن سنان فى هذه القصيدة يعاتب قومه بنى خفاجة لإهمالهم أمره بعد موت والده(١) . . وإذا فنستطيع أن نقول إن والده توفى وابنه طفل صغير أو بعد أن جاوز عهد الطفولة بقليل . . ولا ينبئنا التاريخ بشىء عن رجال بنى خفاجة فى حلب ، اللهم إلا ما نراه فى الديوان من هذه الأبيات التى كتبها إلى « ابن عمه القاضى أبى الحسن على بن عبد المنعم ابن سنان الخفاجى(٢) .

وإذا فخلاصة ما نقوله فى أسرة ابن سنان أنها أسر كبيرة من فروع

(١) راجع القصيدة فى ص ٦٣ من الديوان .
(٢) « الأبيات فى ص ١١ من الديوان .

بنى حزن الخفاجيين أقامت بحلب ، وكان منها شاعرنا الأمير ابن سنان الخفاجى .

ميلاده :

ولا نعلم كذلك شيئاً عن ميلاد ابن سنان ولكننا نجد فى ديوانه قصيدة(١) لما نظمها عام ٤٤٣ هـ ، كما يقول الديوان وفيها هذه الأبيات :

إذا غاير فرعت فى العلا ولم يبق من فوقها مرتقى
علقت بأطراف ذاك النجار وجلت بعادية ذاك البنا
بعشرين أنفقتها فى الصدود وجدت بها فى زمان النوى

يقول : أضعت من عمرى عشرين عاما وأنا أقارع فيها الخطوب المدلهمة وأثر فراق الآباء فى جلد ووقار .

فقد كان عمره عام ٤٤٣ هـ ، عشرين عاما ، فيكون ميلاده نحو عام ٤٢٣ هـ(٢) . . ويؤيد ذلك هذه الرسالة التى كتبها ابن بطلان إلى صديق له

(١) راجعها فى ص ٥ و ٦ من ديوانه .

(٢) ويؤيد ذلك أيضا قوله فى قصيدة كتبها للهاشمى الشريف محمد سنة ٤٤٠ هـ :

سبقت وما بلغت عشرا كواملا فكيف وقد جاوزتها بثمان

فيكون عمره عام ٤٤٠ ثمانية عشر عاما فيكون ميلاده عام ٤٢٢ هـ ، وهو قريب من التاريخ السابق .

عام ٤٤٠ ﻫ ، تقريبا يصف له فيها حلب ، ويقول « إن فيها شابا حدثا يعرف بأبي محمد بن سنان الخفاجي قد ناهز العشرين وعلا في الشعر طبقة المحنكين ، وقد رواها معجم البلدان في الكلام على حلب ونقلها عنه مؤلف « اعلام النبلاء(١) » .

نشأته :

توفى أبوه محمد وهو طفل صغير كما سبق أن ذكرنا . وقد نشأ الأمير نشأة علمية وأدبية كبيرة وكان من تلامذة أبي العلاء المعرى(٢) الفيلسوف الشاعر م ٤٤٩ ﻫ ، ويذكره الأمير كثيراً في كتابه « سر الفصاحة » فيقول عنه : « شيخنا أبو العلاء(٣) » ولعل ابن سنان قد تتلمذ عليه في معرة النعمان وهى قريبة من حلب .

وقد أهلته هذه النشأة ليكون فيما بعد العالم الكبير والشاعر البليغ والمؤلف العظيم .

حياته :

عاش ابن سنان في حلب في ظلال دولة بني صالح بن مرداس الكلابيين

---

(١) ٣٣٣ ﺣ ١ أعلام النبلاء .
(٢) راجع ١٠٦ ﺣ٤ أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء .
(٣) راجع سر الفصاحة ص ٦٧ وسواها من الصفحات .

العامريين(١) ومدح أمراءهم ورجال دولتهم بشعره وتوثقت صلاته بهم طول حياته إلى حد بعيد .

اتصل بالأمير أبي المغيث منقذ بن نصر بن منقذ(٢) ثم رثاه سنة ٤٣٩هـ وهو فى سن السابعة عشرة من عمره بقصيدة منها بيتان فى الديوان(٣) (راجع ٢٧ من الديوان) .

وفى عام ٤٤٠ هـ ، وابن سنان فى سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة

---

(١) ملوك هذه الدولة هم :

صالح بن مرداس ٤٠٢ — ٤٢٠ .

نصر بن صالح ٤٢٠ — ٤٢٩ .

معز الدولة ثمال بن صالح ٤٣٤ — ٤٤٩ .

عطية بن صالح ٤٥٢ .

محمود بن صالح ٤٥٢ ثم من ٤٥٤ — ٤٦٨ .

نصر بن محمود ، وقتل ، فخلفه سابق بن محمود الذى أخذ منه شرف الدولة ملكه عام ٤٧٢ هـ ، وتد تخلل حكم بنى صالح لحلب فترات أخذها من أيديهم الفاطميون .

(٢) وهو جد أسامة بن منقذ (٤٨٨ — ٥٨٤ هـ) صاحب كتاب « الاعتبار » فى التاريخ ، وكتاب « لباب الآداب » .

(٣) يشير إليها أسامة فى لباب الآداب ص ٣٦٨ .

كما أرجح اعتقل الشريف محمد الهاشمى فكتب إليه الأمير قصيدة طويلة (ص ١٠ — ١٠٨ من الديوان) يقول فيها :

سبقت وما بلغت عشرا كواملا   فكيف وقد جاوزتها بثمانى
ولى فى قراع النائبات عوازم   تريك بلوغ النجم بالزملان

إلى أن يقول :

أخا هاشم كم قدتها هاشمية   يغص بها من نقعها الملوان

وهذ القصيدة تدل على روح شيعية تميل إلى العلويين وهى تؤكد ماروى عن شيعيته مما ذكره صاحب فوات الوفيات .

واتصل أيضاً بشرف أمراء العرب الأمير أبى سلامة محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابى من أمراء دولة حلب الكلابيين ومدحه عام٤٤٣هـ وهو فى سن العشرين أو الحادية والعشرين بقصيدته(١) التى مطلعها :

إذا حدت الريح عيس الحيا   وهتك بالبرق ستر الدجى

ويقول فيها فى هذا الأمير :

فتى وجد العز حيث الحمام   ومن دوحة المجد يجنى الردى
مدحتك أخطب منك الوداد   إذا حاول القوم منك الغنى
ولى فى نخاركم شعبة(٢)   وفى الأفق بدر الدجا والسها
علقت بأطراف ذاك النجار   وجلت بعادية ذاك البنا

---

(١) تجدها فى ص ٥ و٦ من الديوان .

(٢) يشير إلى القرابة بينه وبين هذا الأمير .

والأمير الشاب يرسم لنا فى قصيدته هذه صورة لنفسه الطموح ، ولمجد قومه وأسرته بنى خفاجة العامريين أبناء أعمام أسرة حلب الحاكمة من بنى كلاب العامريين .

وله قصيدة أخرى(١) له فى هذا العام أيضاً عام ٤٤٣ هـ ، مطلعها :

يحاربنى فى كل نائبة دهرى ... كأن الرزايا تدرك الفخر فى قسرى
ومن دون ذلى عصبة عامرية ... يلوون أعطاف المثقفة السمر

وله قصيدة ثالثة مدحه بها فى عيد النحر من العام(٢) . نفسه . . وله فيه قصائد كثيرة أخرى سنشير إليها فى هذه الكلمة لنفهم روحه وشخصيته فى كل مرحلة من أطوار حياته الحافلة العظيمة .

وفى عام ٤٤٤ هـ . وابن سنان فى سن الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين اتصل بمعز الدولة ثمال الكلابى ، ومدحه بقصيدته(٣) ، التى يقول فيها :

أرى إبلى شوارع من قنوعى ... موارد مايبل بها غليلى
ولم تعرف لمصعبها قيود ... ولم يملك لشاردها جديل
وآمالى مطوحة بطاء ... ينازع دونها قدر مطول
وما يسمو الزمان إلى قراعى ... وظل جنابكم أبدا ظليل

---

(١) نجدها فى ص ٣٧ وما بعدها من الديوان .
(٢) نجدها فى الديوان ص ٨١ وما بعدها .
(٣) نجدها فى الديوان ص ٦١ وما بعدها .

والقصيد تدل على طموح الشاعر فى هذه الفترة من حياته رغبة فى المجد السياسى وتخار الولايات ، لا طمعا فى مال وثروة .

وفى عام ٤٤٦ هـ ، والشاعر فى سن الرابعة والعشرين من عمره توفيت والدته بعد عودتها من الحج لحزن عليها حزنا عميقا ، ورثاها بقصيدته(١) التى مطلعها :

أبكيك لو نقعت بحقك أدمع ـ وأقول لو أن النوائب تسمع

وهى قصيدة حافلة بالذكريات الحزينة التى مرت على الأمير ووجد أثرها فى نفسه وفى قومه .

وفى هذا العام اتصل بالأمير عز الدولة ثابت بن معز الدولة الكلابى ، ومظهر هذه الصداقة قصيدته(٢) التى يقول فى مطلعها :

أنظن الورق فى الأيك تغنى إنها تضمر حزنا مثل حزنى

ويقول فيها: قد رضينا بإباء عن غنى وبعز اليأس عن ذل التمنى

وله فى هذا الأمير قصيدة(٣) أخرى مدحه بها عام ٤٤٨ هـ ، وهو فى سن السادسة والعشرين .

وفى عام ٤٤٩ هـ ، توفى أستاذه الفيلسوف أبو العلاء المعرى لحزن عليه حزنا عميقا وقصائده فى رثائه مفقودة وقصيدته الرائية (٣٥ من الديوان)

(١) نجدها فى الديوان ص ٣٩ وما بعدها .
(٢) راجعها فى الديوان ص ١٠٤ وما بعدها .
(٣) راجعها فى الديوان ص ٨٤ وما بعدها .

التى رثى فيها جماعة من أهله وأصدقائه فيها حزن عميق على فيلسوف المعرة أبى العلاء. وفى هذا العام أيضاً بلغت شهرته الأدبية إلى دولة بنى أسد فى الحلة فأرسل ظهير الدولة ابن عبد الرحيم وزير أبى الأغر الأسدى (ملك الحلة وضواحيها من عام ٤٠٨ إلى عام ٤٧٤ هـ)، يسأله أن يرسل له قصائد من شعره فبعث ابن سنان الخفاجى إليه بعدة قصائد ومنها قصيدة(١) فى الإشادة به، يقول فيها ابن سنان:

قل للأمير أبى الأغر ودونه للطالبين سباسب ومجول
يثوى ابن عمك بالعراق وقومه كالذود حن وخله معقول
ما صدهم عنك الجفاء وإنما مالوا مع الأيام حيث تميل

وابن سنان فى هذه القصيدة يريد أن يؤكد للوزير أن قلبه وقلوب قومه الخفاجيين مع ابن عمه الأسدى ملك الحلة:

فما الذى حال بين ابن سنان وبين الإخلاص لبنى أعمامه الكلابيين العامريين ملوك حلب الشهباء؟

والجواب عن ذلك سهل يسير، فنفوذ الفاطميين كان ممتداً إلى الشام، والأمير طموح متطلع إلى المجد السياسى ينشد له دولة وسلطاناً وولاية تخفق فيها فوق رأسه الرايات كما يقول فى إحدى قصائده:

أرأيتما مثلى يرام قياده من بعد ما نشط العقال وجرجرا

(١) راجعها فى الديوان ص ٧٩ وما بعدها.

ويسام أن يرضى الخمول وقد أبى إيماض وجه الصبح أن يتسترا

وكما يقول فى إحدى قصائده :

أعنى على نيل الكواكب فى العلا فأنت الذى صيرتها من مآربى

وفى عام ٤٥٠ هـ ، والشاعر فى سن الثامنة والعشرين من عمره ، كانت حلب فى يد الفاطميين الذين استولوا عليها فى حرب طاحنة وأخذوها من يد معز الدولة الكلابى عام ٤٤٩ هـ ، وكان أميرها من قبل الفاطميين هو مكين الدولة ابن ملهم فاتصل به الخفاجى ومدحه بقصيدة أنشده إياها فى حلب عام ٤٥٠ هـ(١) ، ويقول فيها متحدثا عن نفسه :

ومشتت العزمات ينفق عمره حيران لاظفر ولا إخفاق

أمل يلوح اليأس فى أثنائه وغنى يشف وراه الإملاق

يمرى عفافة ثروة لو أنها نوم لما شعرت به الأحداق

وتروقه خدع المنى فكأنها حق وكاذب وعدها ميثاق

وهذه الأبيات تدل على نفسه الطامحة المخفقة فى طموحها وآمالها فى هذه الفترة العصيبة من تاريخ حياة الأمير .

وفى هذا العام أيضاً عام ٤٥٠ هـ ، توفى صديقه أبو المتوج مخلص الدولة مقلد بن نصر فرثاه بقصيدته(٢) التى يقول فى مطلعها :

---

(١) راجعها فى الديوان ص ٧٥ وما بعدها .

(٢) راجعها فى الديوان ص ٥٣ وما بعدها .

حبتك السماء بأمطارها وكيف تضن على جارها(١)

وظل نفوذ الفاطميين فى حلب بين مد وجزر إلى عام ٣٥٤ ﻫ ، حتى استردها الكلابيون من أيديهم .

وفى عام ٤٥٣ ﻫ ، والشاعر فى سن الحادية والثلاثين سافر ابن سنان من حلب إلى القسطنطينية ، ولا ندرى سبب هذه الرحلة ولا ظروفها ، وقد أرسل الأمير الخفاجى من القسطنطينية إلى إخوانه فى حلب أربعة قصائد — ربما يكون فى فهمها ما يكشف لنا أسرار هذه الرحلة الغريبة .

(١) وأولى هذه القصائد هى القصيدة التى ذكر الديوان أنه كتبها وهو فى القسطنطينية ، وأرسلها إلى ابن ملهم (والى حلب من قبل الفاطميين سنة ٤٥٣ ﻫ) ، ويقول الشاعر فى هذه القصيدة :

أسفى من رحلة طوحت فيها إلى الروم الأعاريب
قادنى الدهر إليها ومن جاذب الأقدار مغلوب

ويقول فيها فى مدح بنى ملهم :

ذوائب من عامر ضمها بيت على الجوزاء مضروب
أبعدنى منك زمان له فى طلبى وخد وتقريب(٢)

---

(١) وكانت بينه وبين الخفاجى صلات وثيقة تجد مظهرها فى قصيدته الحائية التى تجدها فى الديوان ص ١٩ وما بعدها وهى قصيدة رائعة بليغة .

(٢) راجع القصيدة فى ص ٩ وما بعدها من الديوان .

(ب) والقصيدة الثانية هى قصيدة تائية فيها دعابة ورقة وخفة روح أرسلها من القسطنطينية يداعب بها بعض أبناء أعمامه ويقول فيها :

أألغيب عن حلب ثلاثة أشهر	لم تكتبوا فيها إلى بلفظة
قلتم شغلنا بالحصار وصدنا	ما كان بعدك من معز الدولة(١)
لو شئت أهرب مرة من عندكم	ما كنت أقصد غير قسطنطينية
ولأكتبن إذا شططت إليكم	من دير أرمانوس بالروحية
أبلغ أبا الحسن السلام وقل له	هـذا الجفاء عداوة للشيعة
ولأ جلسنك للقضية بيننا	فى يوم عاشوراء بالشرقية
دع ذا وقل لى أنت يابن محسن	وجفاء مثلك من تمام الحرقة
ما كان حقك أن تمل وإنما	تاريخ وصلك من حصار القلعة
كانت ولا يتك التى دبرتنى	فيهـا كمثل الخدمة الرجبية
صاح الغراب بنا نفرق شملنا	ورمت فيه الخطوب فأصمت(٢)

وتدل هـذه القصيدة على أن ابن محسن الخفاجى وابن سنان الخفاجى

---

(١) هو معز الدولة ثمال بن صالح الكلابى الذى أخذ الفاطميون منه حلب عام ٤٤٩ هـ ، وسار إلى مصر فأقام فيها فى ظلال الفاطميين ثم أرسلوه عام ٤٥٢ هـ ، لأخذ حلب من ابن أخيه محمود لحاصرها سنة ٤٥٣ هـ ، وأخذها وحكمها إلى وفاته عام ٤٥٤ هـ ، حتى استردها الكلابيون .

(٢) راجع القصيدة فى الديوان ص ١٧ وما بعدها .

قد انتهزا فرصة الخلافات السياسية على ملك حلب بين الفاطميين والكلابيين فثارا بها أو ببعض ولايات حلب وأقام له وهو وابن سنان فيها دولة ثم غلبا على أمرهما ففر الأمير ابن سنان إلى القسطنطينية خوفا من أن يفتك به أحد.

(ح) والقصيدة الثالثة نظمها وهو فى طريقه إلى القسطنطينية فى رثاء مؤتمن الدولة أبى طاهر بمصر(١).

(د) والقصيدة الرابعة أرسلها من القسطنطينية إلى الوزير فخر الدولة ابن جهير بميا فارقين(٢):

وعلى أى حال فإن إقامة ابن سنان فى القسطنطينية لم تطل، وعاد منها بعد موت معز الدولة الكلابى سنة ٤٥٤ هـ.

وفى عام ٤٥٥ هـ، والشاعر فى سن الثالثة والثلاثين قلد صديقه الأمير نصير الملك ابن ملهم ولاية طبرية وعكا وجعل أميرا على بنى سليم وفزارة القيسيين فمدحه ابن سنان الخفاجى بقصيدته الرائية (٤٨ وما بعدها من

---

(١) راجع القصيدة فى الديوان ص ٦٦ وما بعدها.

(٢) ويقول فيها:

يا برق طالع من شبيبة جوشن ... حلبا وحى كريمة من أهلها

مالى وللأقدار ضاق بصرفها ... ذرعى وما ظفرت يداى بنيلها

(ص ٨٦ وما بعدها من الديوان).

الديوان) فى ربيع الأول من هذا العام ، وفى أواخر هذا العام نفسه عقد حلف بين فزارة وسليم القيسيين وبين الكلبيين فمدح ابن سنان صديقه الأمير ابن ملهم بقصيدة(١) فى ذى الحجة عام ٤٥٥ ﻫ .

ويدل ذلك على أن ابن سنان حين عاد من القسطنطينية لم يقصد حلباً وإنما قصد ولاية صديقه الأمير ابن ملهم وأقام معه فيها من عام ٤٥٤ ﻫ .

وفى عام ٤٥٦ ﻫ ، توفى صديقه أبو العلاء صاعد الكاتب بأنطاكية ورثاه ابن سنان الخفاجى بثلاث مراث رائعة :

أولاها عينيته التى تراها فى ديوانه ص ٦٤ .

والأخرى قصيدته القافية التى تراها فى ديوانه أيضاً ص ٧٧ .

والثالثة أبيات ذكرها الديوان فى ص ٩٩ .

وفى هذه الأثناء كان ابن سنان مقيما فى أنطاكية بعد أن فارق ولاية صديقه الأمير ابن ملهم وكانت أنطاكية حينئذ فى يد الروم .

وكان بين أبى العلاء الكاتب وبين الأمير ابن سنان الخفاجى صداقة وطيدة من بدء عهد الصبا نجد مظهرها فى قصيدته البائية(٢) ، التى كتبها فى صباه إلى أبى العلاء ويقول فيها :

فقل لجناب بالغوير تضوعت   عليك الخزامى وهى تلعب باللب

---

(١) راجعها فى الديوان ص ٧١ .

(٢) ص ١٢ الديوان .

سقاك رسيل الدمع تحسب جوده   أكف الخفاجيين فاضحة السحب

وفي خلال وجود ابن سنان بأنطاكية تشوق إلى بلاده حلب الشهباء وضواحيها فأرسل إلى صديقه الأمير سعد الدولة أبي الحسن علي بن منقذ الكناني وأحد أصدقاء أمير حلب محمود الكلابي عدة قصائد منها: قصيدته الدالية(١) التي أرسلها من أنطاكية إليه والتي يقول فيها:

عذيري من الروم جار الفراق   على بعدكم واعتدى
دعوتك من أرضهم عاتبا   فناهلتني ذلك الموردا
لعل مقالك هذا الطويل   يكون لحينهم موعدا
فهل عند رأيك من حيلة   تغيث بها هائما مفرداً
فقد طالما أنقذتني يداك   وقد علقتني حبال الردى

وله إليه قصيدة أخرى(٢) يقول فيها:

بيني وبينك حرمة ماغالها   ولع الخطوب، وذمة لا تخفر
ومودة مزجت بأيام الصبا   ورأت تغيره فلم تتغير
أهون به ماكنت يا ابن مقلد   عوني عليه وكان قومك معشرى

وكتب إليه الأمير ابن منقذ(٣):

فما بالكم لا اوحش الله منكم   مواطن فيها للذمام وفاء

---

(١) ص ٢٦ الديوان.
(٢) ٣٠ وما بعدها من الديوان.
(٣) من قصيدة تراها في ص ٧ وما بعدها من الديوان.

رفعتم منار الغدر بعد هبوطه ... وأخفق منكم مطلب ورجاء
أخصك عبد الله من بينهم فما ... أقول وما عندي عليه غطاء
ومابك إلا إن ملكت فلا تقل ... شئوني فيها دقة وخفاء

وابن منقذ يصرح هنا بكل مايعرفه عن ابن سنان الخفاجي ويقول له: إنك لاتريد إلا الملك ولاتطمع في شيء سواه ،فأجابه ابن سنان بقصيدة(١) طويلة يقول منها:

على أي حكم فيك أعجب للغدر ... وما أنت إلا واحد من بني الدهر
عهدتك مطراق الهوى كل ليلة ... تروح إلى وصل وتغدو إلى هجر
رضاك على سخط وصفوك في قذى ... وحبك من بغض وحلمك عن غمر
فمالك ترميني بعتب جهلته ... فلم أر فيه وجه ذنبي ولا عذري
وكيف أضلتني الخطوب وضوحت ... بلى حتى صرت أجني ولا أدري

وكتب إليه الأمير أبو الحسن قصيدتين أخريين أجابه عليهما ابن سنان(٢) ثم كتب ابن سنان إليه قصيدة أخرى(٣) يقول فيها:

لو وفيتم واصلتمونا على عهد وكان التقاؤنا باتفاق
لا بأمر السلطان قسرا إذ استدعى بني جعفر إلى الإنفاق
أو بحكم المودعين إذا عن له أن يسير نحو العراق

---

(١) ص ٥٤ وما بعدها من الديوان.
(٢) راجع الديوان ص ٣٠، ص ٤٨.
(٣) راجع الديوان ص ٧٧ وما بعدها.

ثم يا صاحب الجناية منهم قد لقينا فى البعد ما لم تلاقى

وهى أبيات غامضة لم نهتد بعد إلى سرها التاريخى الذى يفسر لنا مشكلات حياة الخفاجى فى هذه الفترة الحافلة ، وعلى أى حال فقد عاد ابن سنان الخفاجى إلى حلب ومدح أميرها محمود بن صالح بن مرداس فى صفر عام ٤٤٧ هـ بقصيدته(١) التى يقول فيها :

نزلت على رحب الفناء مريعه ولذت بعادى البناء رفيعه

فقد سمح الدهر البخيل بغربة صفحنا له عما مضى من صنيعه

ولى فيك آمال طوال ترددت بقلب جميل الظن فيك وسيعه

ثم مدحه فى هذا العام نفسه بقصيدته التى مطلعها :

أبى الله ألا يكون لك السعد فليس لما تبغيه منع ولا رد

ومنها :

هنيئاً لك النصر الذى نلت حقه بسمر العوالى لا تراث ولا رفد

وابن سنان يهنئه فى هذه القصيدة بانتصاره على الثائرين عليه الذين أخذوا حلب من يده .

وفى عام ٤٥٨ والشاعر فى سن السادسة والثلاثين من عمره مدح محمودا أمير حلب بقصيدته(٢) التى يقول فيها :

أحيت سيوفك ميت العز فى مصر وأسفرت بسناها عنهم الظلم

---

(١) راجع الديوان ص ٦٩ وما بعدها .

(٢) ص ١٠٢ وما بعدها من الديوان .

وأقام فى ظله يؤمل أن يقلده ولاية إقليم من الأقاليم التابعة لدولة حلب، ولكن محمودا لم يفعل فنظم ابن سنان عام ٤٥٩ هـ قصيدة(١) مطلعها :

ما على إحسانكم لو أحسنا إنما نسأل شيئا هينا

ويقول فيها :

لا أرى عينك إلا ظاهرا خير شكوى عاشق ما أعلنا
أنكروا حرصى على السلم وما ادعى أنى أحب الفتنا
كيف يهوى الحرب من أن فزتم لم يكن بالخير منكم قمنا

إلى آخر ما يقول ، وتدل هذه القصيدة على أن أعداء الأمير ابن سنان حذروا أمير حلب منه وأوهموه أنه سيثور عليه فحاول ابن سنان رد هذه الوشاية .

وفى نفس العام ٤٥٩ هـ خرج الأمير محمود بجيش إلى طرابلس وخرج معه الأمير أبو الحسن بن منقذ وقائده ابن أبى الثر ولم يستدع ابن سنان الخفاجى معه فأرسل ابن سنان إلى ابن منقذ قصيدة(٢) يعاتبه فيها هو والأمير محمودا ويقول منها :

حفظ الله معشرا ضيعوا العهد وحالوا فى سائر الأحوال
كان شملى بهم جميعاً ولكن فرقت بيننا صروف الليالى
يا أجل الملوك عما وخالا عند ذكر الأعمام والأخوال

(١) ص ١١١ وما بعدها من الديوان .
(٢) ١٤ وما بعدها من الديوان .

ليت شعري بأى شيء أداريك فقد قل فى رضاك احتيالى

أتراني أرضى بهذا وفى الدنيا ظهور الفلا وأيدى الجبال

امنحوا دونى الطريق وردوا لى إلى عسقلان بدر الحجال

ودعونى أصبح عند ابن حمدان صياحا يشق حلو السلال

ما اتفقنا إلا على صحبة الدهر ولكن بدا لكم فبدا لى

والقصيدة تفيض عاطفة وقوة وتدل على أن روح الوئام قد تغير بين الخفاجى والأمير محمود .

وعزم ابن سنان الخفاجى على الخروج من حلب إلى ولاية ابن حمدان عام ٤٥٩ هـ فأهدى إليه قصيدته(١) :

أأحبابنا هل تسمعون على النوى تحية عان أو شكية عاتب

وما أدعى أنى أحن إليكم ويمنعنى الأعداء من كل جانب

جزى الله عنى العيس خيرا فطالما فرقت بها بينى وبين النوائب

إلى أن يقول فى ابن حمدان :

يظن العدى إنى مدحتك للغنى وما الشعر عندى من كريم المكاسب

أعنى على نيل الكواكب فى العلا فأنت الذى صيرتها من مطالبى

فهو يطلب منه أن يساعده على بلوغ آماله العظيمة فى مجد الحياة وسلطانها : ثم أهدى الخفاجى إلى ابن حمدان قصيدة(٢) أخرى

---

(١) ٩٤ وما بعدها من الديوان .

(٢) ٤٣ وما بعدها من الديوان .

فى رمضان عام ٤٥٩ يشكره فيها على جميل فعله مع أهله ويقول :

جاد لقومى سحاب منك هاطلة ما غيبت منة منها وقد حضروا

شكرت عنهم وإن أحسنت عندهم فإننى ناظم بعض الذى نثروا

وغادرتنى صروف الدهر بعدهم كالنصل أخرق لا ناب ولا ظفر

فى بلدة تحتوى الأحرار ساحتها فما لهم وطن فيها ولا وطر

فهل لرأيك أن ينتاش مطرحا له من الفضل ذنب ليس يغتفر

ثم أهدى إليه قصيدة(١) أخرى فى نفس عام ٤٥٩ يمدحه بها ويذكر إطلاقه حميد بن محمود وحازم بن على بن جراح من الاعتقال ويقول فى هذه القصيدة :

ولى همة لو أبعد الله دارها عن الشام لم يعرف لمثلى نظيرها

ومنها : أعدتم على طى حميدا وحازما فأمرع واديها وفاض غديرها

وما فاتنى خير نداك كثيره ولا غبت عن نعمى وقومى حضورها

ولكن أمير حلب عاد فاسترضى ابن سنان الخفاجى عام ٤٦٠ هـ تعرض إليه آماله فى قصيدته(٢) التى يقول منها :

أهون بشعرى بعد ما سبقت مدحى إليك ذرائع أخر

فلطالما فاضت يداك على قوم وما نظموا ولا نثروا

وما أخرتنى عنهم قدم لو كان فى وفيهم نظر

---

(١) ٤٦ وما بعدها من الديوان .

(٢) ٤١ وما بعدها من الديوان .

لكنه قدر رضيت به قسرا وكيف يغالب القدر

بيني وبين الحظ داجية عمياء لا نجم ولا سحر

وتوسط وزير الأمير محمود بينه وبين ابن سنان الخفاجي حتى قلده ولاية قلعة عزاز في آخر عام ٤٦٠ هـ، واستقر ابن سنان الخفاجي بها. وفي صفر عام ٤٦١ هـ، وصل ذلك الروم إلى ضواحيها ولكنه انصرف عنها فكتب ابن سنان الخفاجي إلى الأمير محمود قصيدة(١). يذكر له فيها ذلك ويشيد به.

وفي منتصف عام ٤٦١ هـ، سار الأمير محمود إلى حصن «اسفونا» بجيش كبير فأرسل إليه الخفاجي قصيدة ينوه فيها بهذا الحادث التاريخي(٢).

وفي عام ٤٦٢ هـ، أرسل إليه أيضاً قصيدة(٣) شعرية من قلعة عزاز. وفي عام ٤٦٣ هـ، دعا الأمير محمود للخليفة العباسي القائم في حلب فأشاد الخفاجي بهذا في قصيدة(٤)، أرسلها من قلعة عزاز إلى حلب.

وبعد ذلك شق الأمير ابن سنان الخفاجي عصا الطاعة على الأمير محمود واستقل بولاية عزاز فتحايل عليه الأمير محمود حتى أرسل السم إليه

---

(١) ١٠٣ وما بعدها من الديوان.

(٢) ١١٣ « « « « .

(٣) ١١٢ من الديوان.

(٤) ٩٦ من الديوان، ١٠/٢٤ ابن الأثير، ١/٣٣٩ أعلام النبلاء.

بواسطة وزيره ابن النحاس عام ٤٦٦ هـ ، فمات وحملت جثته إلى حلب فدفن بها(١) .

وهكذا انتهت حياة حافلة بالطموح والمجد والإباء والعزة احتذى صاحبها حذو الآباء والأجداد، فرحمه الله وأكرم مثواه، وجعل الفردوس مأواه، مع الملائكة والشهداء والصالحين .. وبعد فهذه الحياة الحافلة للأمير ابن سنان الخفاجي كانت مطمورة فى ثنايا التاريخ البعيد المجهول فكشفنا عنها النقاب بدراستنا هذه لعصره ولشعره دراسة مستفيضة .

ثقافة ابن سنان :

وثقافة ابن سنان ثقافة واسعة : فهو أديب ملم بالأدب متذوق له ، وهو علم من أعلام النقد الأدبي كما يتجلى ذلك من كتابه « سر الفصاحة » ؛ وهو شاعر مبدع ملهم تتجلى فى شعره سمات الشاعرية المجددة الساحرة ، وهو فوق ذلك كله عالم بشتى العقائد والفلسفات والمذاهب العقلية والدينية كما يتجلى ذلك فى كتابه « سر الفصاحة » وفى كثير من شعره ، وكان ينتصر للرأى القائل بأن سبب إعجاز القرآن هو أن الله عز وجل صرف العرب وسواهم عن معارضته وقد أيد هذا الرأى فى كتابه « سر الفصاحة » وألف فيه كتابا سماه الصرفة(٢) ، وهو فوق ذلك العلم الفذ فى البلاغة ،

---

(١) راجع ٢ و ٣ من الديوان ، ٢٣٣ حـ ١ فوات الوفيات .

(٢) راجع ١٣٩ حـ ٣ معجم الأدباء وقد نقل عنه ياقوت .

وكتابه يعد أول تأليف مفصل فى علوم البلاغة والبيان وأجمع دراسة لشتى ألوان البلاغة وفنونها وصورها وجميع أسبابها من اللفظ والمعنى والتأليف والنظم .

وكل هذه الثقافات تدل على عقلية واسعة عميقة ولا شك أن مما نماها فيه تلمذته على أستاذه أبى العلاء وسواه من علماء العربية وأدبائها فوق عكوفه على المطالعة والقراءة والبحث والتأليف ، وفى أستاذه المعرى يقول من قصيدة رثى بها جماعة من أهله وأصدقائه :

ومقيما على المعرة تطويه الليالى وذكره منشور[1]

مؤلفات ابن سنان :

وقد ألف ابن سنان كتبا عديدة ، منها :

١ — سر الفصاحة .

٢ — كتاب الصرفة ذكر فيه قضية إعجاز القرآن وأن سبب الإعجاز هو صرف الله العرب عن معارضته[2] .

ومذهب الصرفة ينسب إلى إبراهيم بن سيار النظام المعتزلى وقد جرى الكلام به على ألسنة قوم قبله من أشهرهم عيسى بن صبيح المزدار المعتزلى البغدادى . وكان الجعد بن درهم مؤدب مروان محمد آخر الخلفاء الأمويين

---

(١) ص ٣٥ من الديوان .

(٢) ١٣٩ حـ ٣ معجم الأدباء .

يقول قولا قريبا من ذلك . وقد رجح هذا المذهب ابن سنان فى كتابه .

٣ — وله ديوان شعر صغير ...

شعر ابن سنان وشاعريته

وابن سنان شاعر مشهور ، وله ديوان شعر يقع فى ست عشرة ومائة صفحة ، ويمتاز شعره بامتلائه بالمعانى والأفكار العقلية وبقوته وجمال العاطفة فيه وظهور شخصية الشاعر وغلبتها عليه ، وسندرسه دراسة واسعة فى كتاب مستقل إذا وفق الله .

ونشير فى هذا المقام إلى أن البارودى قد جعل فى مختاراته ابن سنان من الشعراء الذين روى عنهم شعرهم .

فذكر له نحو ٧٨٥ بيتا ، منها :

١٠ فى الأدب
٥٧٧ فى المديح
٥٦ فى الرثاء
١١ فى الصفات
١١٦ فى النسيب
٢ فى الهجاء
٣ فى الزهد

وكان من الشعراء الذين عاصروا ابن سنان فى حلب : أبو الفتح بن أبى حصينة المتوفى عام ٤٥٨هـ (راجع ١٨٨ حـ ٤ أعلام النبلاء) .

ومنهم أبو العباس الملقب بالمشكور (راجع ٣٣٣ و ٣٣٤ ج ١ أعلام النبلاء) وسواهما من الشعراء .

ومن ديوانه نسخة خطية بدار الكتب وأخرى بمكتبة الأزهر وطبع الديوان ببيروت في ١١٦ صفحة .

وشعر ابن سنان الخفاجي كله مختار جيد لاسيما ما نظمه من بعد عصر صباه وهو مظهره لشخصيته في يأسه وأمله وفقره وغناه وظفره وفشله وفي فضائله الخلقية الكريمة وفي طموحه البعيد الوثاب وفي نظراته الفلسفية التي استمدها من أستاذه أبي العلاء .

وهو في رثائه وفي عتابه وفي غزله وفي مدحه وفي وصفه وفي التعبير عن وجداناته وعواطفه رائع بالغ حدود الجمال الفني والعاطفي .

وهذه هي عدة نماذج لشعر ابن سنان :

قال الخفاجي :

أيها النوام ويحكم ... قد حملنا عنكم السهرا

نحن في ظلماء داجية ... ما لها صبح فينتظرا

فجرها والصبر بعدهم ... ما سمعنا عنهما خبرا

وقال من قصيدة يرثي بها جماعة من أهله وأصدقائه :

ياديار الأحباب غيرك الدهر ... فكانت بعد الأمور أمور

أين أيامنا بظلك والشمل ... جميع والعيش غض نضير

يا نجوم العلى غربتم وما فى — الليل من بعدكم نجوم تغور
حال عما عهدتموه ولم — يجر على رسمه الصباح المنير
وعفا الجود فالكريم بخيل — فى الملمات والغنى فقير
لا يجاوركم الصعيد بسوء — فهو للنازلين بئس المجير
وسقاكم من السحاب صناع — الكف يسدى فى روضكم وينير
ما أرى الشعر كافيا فى مرائيكم — ولكن قد ينفث المصدور

وقال :

تجاهلت حتى أنكرتنى خفاجة — وقالت : وهل ضل الأعز المشيع ؟

وقال فى صباه :

وحى من خفاجة رحت فيه — على جرداء حالية الأديم
أباح الخمر فيه حمى همومى — فأشربها وتفتك بالنديم

وقال ابن سنان الخفاجى :

ومعدد فى الفخر طارف ماله — حتى تلوت عليه مجدا تالدا
طوقته بأوابدى ولطالما — أهديت أغلالا بها وقلائدا
مهلا فإنك ماتعد « مباركا » — خالا ولا تحصى « سنانا » والدا
بيت له النسب الجلى ، وغيره — دعوى تريد أدلة وشواهدا

وقال :

عاذت بنو حوا من إبليس فى الدنيا م — وكم فيهم فنون أبالس
درسوا العلوم ليملأوا بجدالهم — فيها صدور مراتب ومجالس

وتزهدوا حتى أصابوا فرصة　　في أخذ مال مساجد وكنائس(١)
إيوان كسرى صار مرتع ثلة　　ودياره باتت مناخ عرائس

ترجمة ابن شاكر له :

وقد ترجم مؤلف فوات الوفيات لابن سنان ترجمة قصيرة ، ذكر فيها موته مسموما فى قلعة عزاز(٢) .

وكانت وفاته فى سنة ٤٦٦ هـ ، وحمل إلى حلب(٣) .

---

(١) وينسب هذا البيت والذى قبله لابن خفاجة الأندلسى (ارجع ديوان ابن خفاجة شاعر الأندلس ت ٥٣٣ هـ طبعة ١٢٦٦ بمصر ص ٧٨) .

(٢) بلدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب . بينهما يوم ، وهى طيبة الهواء ، عذبة الماء ، صحيحة لا يوجد فيها عقرب وليس بها شىء من الهوام (٦/١٦٧ معجم البلدان لياقوت ط ١٩٠٦) .

(٣) جاء فى معجم البلدان لياقوت عند ذكر حلب من رسالة لابن بطلان كتبها سنة ٤٤٠ هـ مانصه : وفيها حدث يعرف بأبى محمد بن سنان قد ناهز العشرين ، وعلا فى الشعر طبقة المحنكين ٣/٣١٣ معجم البلدان لياقوت ط ١٩٠٦ ، ٢٩٧ — ١/٣٠٠ فوات الوفيات لابن شاكر ط ١٢٨٣ هـ

الأمير ابن سنان الخفاجى

أعظم النقاد العرب

— ١ —

نحن فى القرن الخامس الهجرى ، وتراثنا النقدى ملء السمع والبصر ، والكتب الرائدة فيه كثيرة ، والنظريات النقدية جد ثرية وغنية ، والنقاد لا يزالون يفاجئون قراءهم بالكثير من الآراء والأفكار التى تدور حول النقد .

وإذا نحن نفاجأ بظهور ثلاثة كتب فى وقت واحد ، وفى بيئات متعددة ، دون أن يعلم مؤلف أحدها عما ظهر فى الوقت نفسه من كتب نقدية أخرى شيئا ..

— « دلائل الإعجاز » للإمام عبد القاهر الجرجانى — ٤٧١ هـ — ويكمل نظرية عبد القاهر النقدية فيه كتابه الآخر « أسرار البلاغة » .

— « العمدة فى صناعة الشعر ونقده » لابن رشيق القيروانى المتوفى عام ٤٥٦ هـ .

— « سر الفصاحة » لابن سنان الخفاجى المتوفى عام ٤٦٦ هـ .

عبد القاهر يظهر فى جرجان ، وابن رشيق فى القيروان ، وابن سنان فى حلب .. الثلاثة من أعلام النقاد فى القرن الخامس الهجرى ، وإن كان يسبقهم الباقلانى الذى توفى فى مطلع هذا القرن عام ٤٠٣ هـ . والثلاثة

شاركوا فى النقد مشاركة كبيرة ، وأسهموا كذلك فى وضع أصول البيان وقواعد البلاغة ، والثلاثة يبدو أنهم تأثروا بآراء قدامة بن جعفر (– ٣٣٧ هـ) فى كتابه « نقد الشعر » ، وإن كان تأثر ابن رشيق وابن سنان به جد كبير ، مما يجعلهما يعتمدان على كتاب قدامة اعتماداً شديداً ، ويجعل بينهما من التشابه ما قد يدعو إلى القول بأن أحدهما رجع إلى الآخر وأفاد منه ، وإن كان الأمر ليس كذلك على وجه اليقين . أما الخفاجى وعبد القاهر فليس بينهما أى أثر للمشابهة والتأثر العلمى إلا أشياء قليلة لا تغنى من الأمر شيئاً ، مثل ما ذكره ابن سنان وعبد القاهر حول إعجاز القرآن الكريم كتاب العربية الخالد المنزه من شبهة الذين زعموا أن الحكاية هى المحكى ، والرد عليها (دلائل الإعجاز ، وسر الفصاحة) ، ولو أن عبد القاهر أو ابن سنان قد اطلع أحدهما على آراء الآخر فى النقد وأصول البلاغة ، لكان لذلك أثره فى تحويل التيارات النقدية والبيانية إلى مناهج جديدة .

ونعود إلى الأمير ابن سنان وكتابه النقدى الخطير « سر الفصاحة » .

– ٢ –

ابن سنان(١) هو الأمير الشاعر الناقد الأديب العالم أبو محمد عبد الله ابن محمد بن سعيد بن يحى بن سنان الخفاجى الحلبى ، ينتمى إلى بنى حزن الخفاجيين الذين استقروا فى حلب ، وداعت شهرتهم فيها حتى ليقول ابن سنان لبعض خصومه :

مهلا فإنك ما تعد (مباركا) خالداً ولا تحصى ـ سناناً ، والداً
بيت له النسب الجلى وغيره دعوى تريد أدلة وشواهدا

ويقول كذلك :

ضلالك ، ما نسبت إلى (سنان) ولا ضربت خؤولك فى تميم

وقد ولد فى حلب عام ٤٢٣ هـ ، نعرف ذلك من قصيدة له فى ديوانه نظمها عام ٤٤٣ هـ ويقول فيها مفتخراً بأصوله الخفاجيين من بنى عامر العقيليين :

إذا عامر فرعت فى العـلا ولم يبق من فوقها مرتقى
علقت بأطراف ذاك النجار وجلت بعـأدية ذاك البنـا
بعشرين اتفقتهـا فى الصدود وجـدت بهـا فى زمان النوى

ويؤيد ذلك رسالة كتبها ابن بطلان إلى صديق له عام ٤٤٠ ويصفه له فيها مدينة حلب ويقول(٢) :

إن فيها شاباً حدثاً يعرف بالخفاجى قد ناهز العشرين ، وعلا فى الشعر طبقة المحنكين .

وقد تتلمذ ابن سنان على شاعر المعرة الكبير أبى العلاء المعرى(٣٦٣ — ٤٤٩ هـ) ، فى معرة النعمان القريبة من حلب ، وعلى أعلام علماء حلب فى عصره ، وقرأ الكثير من تراث العربية فى اللغة والأدب والنقد والبيان ، وسمت نفسه إلى أعلى مدى من الطموح ، وتوفى أستاذه أبو العلاء عام ٤٤٩ هـ وابن سنان فى السادسة والعشرين من عمره ، وفى الديوان قصيدة

رائية رثى فيها جماعة من أهله وأصدقائه ، وأظهر فيها حزنه العميق على فيلسوف المعرة وشاعرها.

وفى عام ٤٥٣ هـ وابن سنان فى سن الحادية والثلاثين ربيعاً يسافر شاعرنا الناقد من حلب إلى القسطنطينية ، وفى الديوان أربع قصائد تشير إلى ذلك ، ففى قصيدة بعث بها من القسطنطينية إلى (ابن ملهم) والى حلب من قبل الفاطميين عام ٤٥٣ هـ ، يقول فيها :

وا أسفى من رحلة طوحت فيها إلى الروم الأعاريب
قادنى الدهر إليها ومن يجاذب الأقدار مغلوب(٣)

ويذكر د. الدهان تفسيراً آخر لرحلة ابن سنان إلى القسطنطينية نقلا عن ابن العديم مؤرخ حلب ، فيقول(٤) :

فكر الأمير محمود المرداسى الكلابى فى أن يظفر بالحكم وحده ، وأن تكون له حلب كلها دون عمه (ثمال) الذى يساعده الفاطميون ، وفكر محمود فى أن يستنجد بالروم ، ونظر حوله ، فوقع نظره على شاعرنا الشاب ابن سنان ، وقر رأيه على إرساله إلى بلاد الروم فى هذه المهمة الشاقة ، وسار الشاعر على كره ، وخلف وراءه زوجته وصحبه ووطنه ، وربوعا أحبها ، وعيشاً ألفه ، وكان ذلك فى عام ٤٥٣ هـ ، والشاعر فى الثلاثين من عمره ، وقد ذكر المؤرخون هذه البعثة ، فأثبتها ابن العديم مؤرخ حلب ، وأوردها ابن القلانسى مؤرخ دمشق الذى قال :

« ندب ابن سنان للسير من حلب إلى القسطنطينية رسولا ، يستنجد

لمحمود على عمه ثمال ، ولم يذكر المؤرخون عن صحب هذا الرسول ورفاقه شيئاً ، وسكتوا عن كل ما يدور حول الرسالة ، وعن الترجمان ، وعن المسالك والدروب[٥] ولكن التاريخ يعلمنا أن الأمير محموداً صالح عمه (ثمالا) ، واقتسما البلاد بينهما ، فسقطت بذلك سفارة الشاعر[٦] .

وفى إحدى قصائد الخفاجى التى بعث بها من هناك إلى بعض أبناء عمومته فى حلب يقول :

أأغيب عن حلب ثلاثة أشهر	لم تكتبوا فيها إلى بلفظة
قلتم شغلنا بالحصار ، وصدنا	ما كان بعدك من (معز الدولة)
لو شئت أهرب مرة من عندكم	ما كنت أقصد غير قسطنطينية

وتدل هذه القصيدة على أن ابن سنان وبعض بنى أعمامه انتهزوا فرصة الخلافات السياسية على ملك حلب بين الفاطميين والكلابيين ، فثاروا ببعض ولايات حلب ، ليقيموا لهم فيها دولة ، ولكنهم غلبوا على أمرهم ففر ابن سنان إلى القسطنطينية خوفاً من أن يفتك به أحد ، ويكون ذلك تفسيراً آخر لهذه الرحلة وهو الذى أرجحه لأنه يرجع إلى شعر ابن سنان .

وعاد الشاعر ابن سنان ، لا إلى حلب ، ولكن إلى ولاية صديقه (ابن ملهم) فى طبرية وعكا ، عام ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٥٦ هـ .

وفى عام ٤٥٦ هـ توفى صديقه أبو العلاء صاعد الكاتب بأنطاكية

فرثاه ابن سنان بثلاث مرات نجدها فى الديوان ، وكان يراسل ابن منقذ ، وكان ابن منقذ يأخذ عليه قيامه بالثورة من أجل الملك .

وفى صفر من عام ٤٥٦ هـ يعود ابن سنان إلى حلب ويمدح أميرها محمود بن صالح بن مرداس الكلابى العامرى ، ويقيم فى ظله ، مؤملا أن يقلده ولاية إقليم من الأقاليم التابعة لدولة حلب ، ولكن الأمير محمود بن صالح لم يفعل ، وبدأ تململ ابن سنان يظهر فى شعره ، وبدأت الوشايات تثور حوله ، ويعزم على الرحيل من حلب إلى ولاية ابن حمدان عام ٤٥٩ هـ فيرسل قصيدة إلى صديقه ابن حمدان يقول فيها فيما يقول :

يظن العدى أنى مدحتك للغنى ... وما الشعر عندى من كريم المكاسب
أعنى على نيل الكواكب فى العلا ... فأنت الذى صيرتها من مطالبى

ويتوسط وزير الأمير محمود بينه وبين ابن سنان حتى يقلده ولاية « قلعة عزاز »(٧) فى آخر عام ٤٦٠ هـ ، فأقام بها شاعرنا الناقد .. ولكن لم يلبث أن شق عصا الطاعة ، وأعلن استقلاله بالولاية ، ولم يجد الأمير محمود بن صالح شيئاً نافعاً فى حل هذه المشكلة إلا أن يعمل أخيرا على قتل ابن سنان وحملت جثته إلى حلب فدفن بها ، ومات شهيداً لطموحه .

وهكذا نجد أن الأمير الشاعر قد انصرف طيلة حياته إلى السياسة ولم يفزع إلى الأدب وحده ، ولا كان قد فرغ لذلك ، ولو عاش حياته كلها للأدب والنقد لكان شيئاً رهيباً فى هذا المجال ، وإذا نظرنا إلى كتابه « سر الفصاحة » هالتنا شخصية ابن سنان النقدية واللغوية والأدبية ،

فما بالنا لو أن هذا الشاعر العظيم الذى توفى عن ثلاثة وأربعين عاما، كانت حياته كلها خالصة للثقافة والأدب.

إن مؤامرات السياسة وأحداثها فى عصره، وطموح ابن سنان وآماله العراض، قد عجلت بالقضاء عليه، وبموته مسموما.

— ٣ —

وفى وسط هـــذه الاحداث السياسية ألف الأمير ابن سنان كتابه «سر الفصاحة»، كما ألف كتابا فى إعجاز القرآن سماه «الصرفة»، وجمع ديوان شعره، وإن كان الكثير من شعره قد ضاع فى هذه المحنة السياسية.. وكتبه وشعره تدل على ثقافة ابن سنان الأدبية والنقدية الواسعة، ولا شك أن لتلمذته على أبى العلاء المعرى أثرا كبيرا فى ذلك. ويذكر ابن سنان أستاذه أبا العلاء فى قصيدته التى رثى فيها جماعة من أهله وأصدقائه، وأظن أنه نظمها بعد فشل ثورته السياسية الأولى، فيقول:

ومقيما على المعرة تطوبه الليالى، وذكره منشور

ويقول الدكتور الدهان: «كان شاعرنا يجوس خلال حلب، ويلوذ بعلمائها وأدبائها، ويأخذ عن شيوخها وأساطينها، وهم بقية العصر الحمدانى الزاهر، وتلاميذ المباقرة الشيوخ ممن درجوا على هـذه البقعة الخالدة: كابن جنى، وابن خالويه، والفارابى، والمتنبى، والسلامى، وأبى فراس، فالعصر المرداسى خليفة العصر الحمدانى فى كل شىء، والخفاجى

أراد أن يكون خلفا لهؤلاء النوابغ، فملا صدره بالعلم والمعرفة(٨).

ويقول كذلك عن «سر الفصاحة»: إنه دروس جيدة فى النقد الأدبى، يعدها النقاد من طلائع الكتب الرصينة فى هذا الباب، ويعترفون لمؤلفه بسعة الإطلاع، ودقة المعرفة، وسلامة الذوق، يعرض لآراء الفحول والقدماء من النقاد، فيقف لهم، ويبدى رأيه فيهم، فيخالف ويوافق، ويستحسن ويستقبح، ويورد شواهده من الشعر والنثر فى اختيار رفيع، يدل على رسوخ قدم، وقوة بيان، وأسلوبه فى الكتابة هو أسلوب الفحول فى النثر، ليس فيه سجع ولا التزام، انما هو رقيق فصيح بليغ، كأجمل ما تكون الاساليب النثرية(٨)، ويكرر ذلك فيقول: إن ابن سنان غدا بكتابه إماما من أئمة النقد الأدبى(٨).

فكتاب «سر الفصاحة» كتاب جليل، عظيم الخطر، كبير الأثر فى بحوث النقد والبلاغة، مشهور بين العلماء، مشهود له بالاهمية والابتكار والخلق.

يقول الأستاذ عبد المتعال الصعيدى محقق الكتاب: إن أسلوب ابن سنان فى كتابه أسلوب أدبى علمى ممتاز، لا يطغى فيه ذوق الاديب على ذوق العالم، كما طغى فى أسلوب عبد القاهر الجرجانى، ولا يطغى فيه ذوق العالم على ذوق الاديب، كما طغى فى أسلوب السكاكى (من بعده)، وكان لهـــذا أثره فيمن حذا حذوه من المتأخرين من علماء البلاغة، فقد أمعنوا فى طريقته، إلى أن أخلوها من الذوق الأدبى وجعلوا من كتب

البلاغة ميدانا لجدلهم العلمى، فقد انصرفوا عن ذلك الأسلوب الأدبى العلمى الممتاز للخفاجى، متأثرين بمدرسة السكاكى دون مدرسة الخفاجى، ودون مدرسة عبد القاهر أيضاً(٩). ويقول أيضاً: إن عبد القاهر ذهب بالشهرة فى علوم البلاغة عند المتأخرين، دون ابن سنان الخفاجى، حتى عدوه شيخ البلاغة على الإطلاق فقدر لمدرسته البقاء بينهم، دون مدرسة الخفاجى، مع أن أسلوب الخفاجى أقرب إلى أسلوبهم من أساليب عبد القاهر(١٠).

وفى مقدمة «سر الفصاحة» التى كتبها ابن سنان يقول: إنه أودع كتابه طرفا من شأن الفصاحة وحقيقتها، وجملة من بيانها، مقربا ذلك إلى الناظر وموضحا إياه للمتأمل(١١).

والكتاب بحث مفصل فى أسرار الفصاحة والبلاغة، وقد رجع ابن سنان إلى النظرية اللغوية فى البلاغة وهى بلا شك عنده أساس نظريته فى النقد، فقد تكلم على اللغة والحروف، وعلى الالفاظ المفردة وصفاتها وأسباب الفصاحة فيها، ثم على الالفاظ المؤلفة وأسرار فصاحتها، ثم على المعانى المفردة وما يجب أن تكون عليه فى التأليف، ليكون الكلام موائما للفكر والمنطق والعقل، وذكر أن الفصاحة مقصورة على الالفاظ بعكس البلاغة فهى وصف للالفاظ مع المعانى، ووضع المقاييس البيانية الدقيقة لكل شىء، ذاهبا إلى أن تأليف الكلام — أى الأدب — صناعة موضوعها هو الكلام، مخالفا لقدامة فى «نقد الشعر» الذى ذهب إلى أن

موضوعها المعانى .. ومن أجل ذلك كله عرض ابن سنان لقضايا بيانية كثيرة ، كما عرض لقضايا لغوية أيضاً هى احساس الحركة النقدية .

١ — فهو يذهب إلى ضرورة تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج.

٢ — وينقد من يمدح أستاذه المعرى بالغموض ، ولذا يفصل الكلام فى الوضوح ، ويجعله شرطاً فى الفصاحة والبلاغة .

٣ — ويرى ضرورة أن تكون الكلمة غير كثيرة الحروف .

٤ — كما يرى ضرورة اجتناب الحروف المتقاربة فى تأليف الكلام .

٥ — وضرورة وضع الالفاظ موضعها حقيقة أو مجازا .

٦ — وضرورة المناسبة بين الالفاظ من طريق الصيغة أو من طريق المعنى .

٧ — ويعرض للحشو فى الكلام ، متأثرا فى ذلك بقدامة مبينا مايعاب منه وما يستحسن ، ويدخل الايغال فى الحشو، وفى حديثه عن المعاظلة فى الكلام — سوء التركيب — يفرق بينها و بين مشاكلة النظم بعضه لبعض، متأثرا أيضاً بقدامة .

٨ — ويتحدث ابن سنان عن الاستعارة والكناية ، وعن التمثيل ، والتشبيه ، وعن المبالغة فى المعنى واختلاف نقاد الأدب حولها .

٩ — كما يتحدث عن السجع والازدواج وآراء النقاد فيهما ، ويستحسن السجع المطبوع ، متأثرا فى ذلك بالجاحظ وبقدامة ، وينقد الرمانى فيما

ذهب إليه من ذم السجع وفصاحة الفواصل . ويذكر الكتاب المحدثين الذين أكثروا من السجع ، والذين أقلوا منه ، والذين كانوا بين هؤلاء وهؤلاء ... ويذكر كذلك القوافى فى الشعر والتصريع ، والتجانس ، وتقارب معنى اللفظين ، وتضاد معنيهما ، وهذا هو المطابق عند البلاغيين، وقدامة يسميه « تكافؤا » ، وينكر ذلك عليه الآمدى .. ويذكر الإيجاز، ويناقش تعريف الرمانى له .

١٠ — ويتحدث عن المعانى وأسباب فصاحتها من مثل : صحة التقسيم — تجنب الاستحالة والتناقض — صحة الاوصاف فى الاغراض — صحة المقابلة فى المعانى — صحة التفسير ، وهو فى ذلك متأثر جد التأثر بقدامة .

— ٤ —

وابن سنان ينقد من يفضل أشعار المتقدمين على شعر المحدثين ويناقش ذلك كله فى تفصيل وقوة .

وكذلك يبين أن منهجه فى النقد هو تحكيم ما قسمه فى كتابه من مناهج حول الالفاظ والمعانى ، دون التفات إلى تقدم الزمن أو تأخره ، وهذا هو مذهب الجاحظ والمبرد والمعرى والمنصفين من النقاد .

ويشرح ابن سنان أن المعنى المبتذل أو الماجن لا يعيب الشعر فى شىء — كما ذهب إليه بعض النقاد — ما دام تأليفه بليغا .

ويبين المناهج الخاطئة لبعض النقاد فى النقد ، من اختيار ما يوافق

ذوق الناقد وطبعه، ومن ايثار الغريب دون المشهور، ومن عكس ذلك، ومن استحسان الشعر لأجل قائله.

وهكذا نجد منهج ابن سنان فى النقد قريبا من منهج قدامة، فى النظر إلى اللفظة المفردة، واللفظة المنظومة المؤلفة فى الكلام، وفى المناسبة بين الالفاظ من طريق الصيغة، أو من طريق المعنى، وفى مسائل كثيرة، تتصل بالأسلوب والصياغة أو بالفكرة والمعنى، وهو فى ذلك كله، وبما فيه من الآراء الحافلة فى النقد، ذو أثر كبير فى الثقافة النقدية والبيانية فى القرن الخامس الهجرى وما تلاه من قرون، وقد نوه ابن الأثير (٦٣٧ه) فى أول كتابه «المثل السائر» بالكتاب وبمؤلفه، وأشاد بهما، وتأثر بالكتاب فى كثير من دراساته.

ويرجع ابن سنان إلى اراء النقاد قبله كثيرا: كالجاحظ وابن قتيبة، وقدامة، والآمدى، وصاحب «الوساطة بين المتنبى وخصومه» وهو القاضى الجرجانى، والرمانى، والباقلانى وغيرهم.. ومع ذلك كله فشخصية ابن سنان قوية واضحة فى كتابه: بنقده لما يستحق النقد من الإداء، وبحسن عرضه، وجمال تنسيقه، وقوة حجته وسلامة ذوقه فى النقد.

وثقافة ابن سنان هى من ثقافة المتكلمين، وأسلوبه فى الجدل قوى واضح، وهو ينتصر للمتكلمين، حتى يرى كلامهم دون ماسواه هو الحجة الدامغة.

وهو منصف فى أحكامه الادبية والنقدية والبيانية ، يعتمد على الحجة والدليل ، ويختبر كل شيء بميزان العقل والتفكير .

وإذا كان قد نقد أبا تمام فى قوله :

يضحكن من أسف الشباب المدبر

لأن المدبر — فى رأيه — مثل الادبار .. فإن ذلك تفكير بعيد وتعليل غير منصف ، ولا يقبله ذوق الجمهور .

ويعيب ابن الأثير على ابن سنان طرحه للكلمات الطويلة مثل « المستنشدين » .

إن المنهج العام النقدى لابن سنان مبنى على أساس منهج قدامة ، وكذلك كان الأمر عند ابن رشيق .. ولكن ابن سنان يعتمد على نظرية لغوية فى النقد يرجع إليها ويحكمها ، فاللغة عنده هى الأساس الأول فى الصياغة الأسلوبية ، وهى الميزان السليم فى النقد ، ولابد أن يحتكم ذوق الناقد وطبعه إلى جوهر اللغة ، وطرائق تأليفها .

وذوق ابن سنان النقدى ذوق عال رفيع ، يقول ابن سنان :

أجاز لنا فى بعض الايام شيخنا أبو العلاء بن سليمان (المعرى) قول الشاعر (الحطيئة) :

ألا حبذا هند وأرض بها هند   وهند أتى من دونها النأى والبعد

وقال : من حبه لها لم ير تكرير اسمها عيبا ، ولأنه يجد للتلفظ باسمها حلاوة ، فلم ير من الاعتذار للتكرير إلا هذا ١٢). ثم يقول :

ولم يزل الناس على وجه الدهر منكرين قول امرىء القيس :

ألا انى بال على جمل بال   يقود بنا بال ، ويتبعنا بال

وهو لعمرى قبيح ، وإن كان عيب هذا الفن — التكرير — الذى لا غاية وراءه فى القبح قول مسلم :

سلت وسلت ، ثم سل سليلها   فأتى سليل سليلها مسلولا

ولولا أن هذا البيت مروى لمسلم ، وموجود فى ديوانه لكنت أقطع على أن قائله أبعد الناس ذهنا ، وأفلهم فهما ، وممن لا يعد فى عقلاء العامة ، فضلا عن عقلاء الخاصة ، لكنى أخال خطرة من الوسواس عرضت له فى وقت نظم هـــذا البيت فليته لما عاد إلى صحة مزاجة ، وسلامة طبعه ، جحده ، ولم يعترف به ، ونفاه فلم ينسب إليه . وما أضيف هذا وأمثاله إلا إلى عوز الكمال فى الخلقة ، وعموم النقص لهذه الفطرة(١٣).

ويقول ابن سنان :

فأما قول أبى الطيب :

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا   فلا تحسبنى قلت ما قلت عن جهل

فقد كان الصاحب أنكره على أبى الطيب ، والأمر فيه على ما قاله ، وهو من ردىء الاستعارة ، وأرى أن الزائد فى قبحه قوله :

« حلواء » ، لأن المستعمل فى هذا الفن « حلاوة » .

ويذكر رأى الصولى فى الاحتجاج لأبى تمام بصحة استعمال أسلوب « ماء الشباب » على صحة استعماله « لماء الملام » ، ويقول أثر ذلك : هذه جملة ما قاله أبو بكر — الصولى — وهى غير لائقة بمثله من أهل العلم بالشعر — أى النقاد — لأن قولهم كلام كثير الماء ، وماء الشباب وقول يونس :

إن الاخطل أكثرهم ماء شعر ، إنما المراد به الرونق ، كما يقال ثوب له ماء ، ويقصد بذلك رونقه ، ولا يحسن أن يقال :

ما شربت أعذب من ماء هذا الثوب ، كما لا يحمل أن يقال :

ما شربت أعذب من ماء هذه القصيدة الخ(١٠) .

وهكذا فإن كتاب « سر الفصاحة » ، وإن غلب عليه طابع البلاغة ، فإن هذا الطابع لم يخرجه عن النقد ، ولم يبعد به عن مجال الحكم والموازنه والشرح والتحليل والتفسير للحكم الأدبى .

ولا نستطيع أن نلم بكل ما فى الكتاب من أحكام فى النقد ، فهو كله مبنى على النقد ومملوء بنظرياته ، مما يستحيل معه إحصاء أثره فى هذا المجال .

ولنقف هنا ، لنقول فى آخر الأمر : أن « سر الفصاحة » وإن كان بحثا عن أصول الفصاحة والبلاغة ، ألا أنه من أروع كتب النقد العربى ، وأجمعها لأصوله ، وأشملها لمذاهبه وتياراته ، وأكثرها مناقشات ،

وأحكاما نقدية ، تستند إلى الذوق ، وترجع إلى الطبع ، وتستهدى بأحكام الفطرة الأدبية الخالصة .

المراجـــع

١ — راجع ترجمته فى ٢٢٢ — ٢٣٥ ج ١ فوات الوفيات ، وقد نقلت هذه الترجمة فى مقدمة ديوانه المطبوع بالمطبعة الانسية — بيروت عام ١٣١٦ هـ (ص ٢ و ٣ من الديوان) ، ونقلها أيضاً مؤلف كتاب « أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء » ص ٢٠١ — ٢٠٤ ج ٤ . وقد ترجم له بروكلمان وجورجى زيدان وغيرهما ، وورد ذكره فى « معجم البلدان » لياقوت أيضاً . وفى صفحة ٣٤٥ من « حلبة الكميت » للنواجى شعر له ، وراجع رسالة مخطوطة عن ابن سنان للأستاذ الدكتور عبد الحميد العبيسى ، وفى مجلة الأزهر عام ١٩٦١ و ١٩٦٢ مقالات عن ابن سنان للدكتور محمد كامل الفقى ، وقد ظهر كتاب عن ابن سنان « وسر الفصاحة » — منذ عام ، وقد ترجم له الدكتور سامى الدهان فى كتابه « قدماء ومعاصرون » ص ٦٧ — ٨٧ (طبعة دار المعارف المصرية عام ١٩٦١) ، وترجم صاحب هذا البحث له فى كتابيه « بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى » (ص ٨ — ٤٠ ج ٢ طبعة ١٩٤٩) ، والخفاجيون فى التاريخ ص ١٠١ — ١٢٤ — طبعة دار الطباعة المحمدية بالأزهر — بالقاهرة) .

٢ — راجع الرسالة فى ٣٣٣ ج ١ « أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء » نقلا عن « معجم البلدان » لياقوت عند الكلام على « حلب » .

٣ — ص ٣٥ من الديوان .

٤ — ص ٧٤ قدماء ومعاصرون — للدكتور محمد سامى الدهان — طبعة دار المعارف .

٥ — ٧٥ و ٧٦ المرجع نفسه .

٦ — ٨١ المراجع .

٧ — بلدة شمالى حلب ، بينهما مسيرة يوم ، طيبة الهواء ، عذبة الماء ، فيها قلعة حصينة (٦/١٦٧ معجم البلدان لياقوت — ط ١٠٩٦) .

٨ — ص ٧٨ و ٧٩ قدماء ومعاصرون — د. الدهان .

٩ — صفحة د—و—ه « سر الفصاحة » تحقيق عبد المتعال الصعيدى .

١٠ — صفحة ط ، ى — المرجع نفسه .

١١ — راجع ص ٣ من كتاب « سر الفصاحة » .

١٢ — ١١٥ المرجع .

١٣ — ١١٦ المرجع .

١٤ — ١٥٤ المرجع .

١٥ — ١٦٢ — ١٦٤ المرجع نفسه .

الدولة الخفاجيـــة

فى القرن السادس الهجرى

إن المراجع التى تحدثنا عن الدولة الخفاجية فى هذا القرن شحيحة جداً .. فابن الأثير المعاصر للأحداث كان قد وقف بتاريخه عند بدايات هذا القرن ، وكان بدء الغزو المغولى للعالم الإسلامى قد شغله عما عداه .

ومن المصادر التى يمكن الرجوع إليها فى بحثنا كتاب « بغية الطلب فى تاريخ حلب » تأليف العلامة المؤرخ كمال الدين أبى حفص عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن هبة الله بن أبى جرادة العقيل المعروف بابن العديم الحلبى (٥٨٦ — ٦٦٠ هـ)(١) ، وبدار الكتب منه نسخة خطية لم أطلع عليها بعد .

على أنه يمكننا أن نجمل التاريخ السياسى للدولة الخفاجية فى هذا القرن فيما يلى :

١ — فى عام ٥٣٦ هـ غزا بنوا خفاجة بلاد العراق ، ونشروا نفوذهم فيها ، فسير السلطان مسعود السلجوقى جيشاً إليهم ، فنهبوا بلدهم ، وقتلوا من ظفر بهم(٢) .

---

(١) ٢٧ ح ٨ فهرس دار الكتب المصرية .

(٢) ١١/٣٧ تاريخ ابن الأثير .

٢ — فى عام ٥٥٦ هـ اجتمعت بنو خفاجة إلى الحلة والكوفة ، وطالبوا بإقطاعهم أرضاً واسعة تكفى لحاجتهم من الطعام فمنعهم أمير الحاج أرغش ، وكان هو كله إقطاعية الكوفة ، ووافقه الأمير قيصر حاكم الحلة ، فخرجت بنو خفاجة لتأخذ حقوقها بالقوة ، ونهبوا مواد الكوفة والحلة ، فحاربهم قيصر وأرغش ، فانهزمت بنو خفاجة أمامهم ، وتبعهم العسكر إلى رحبة الشام ، فأرسل بنو خفاجة يطلبون الصلح ، فلم يجابوا إلى طلبهم ، وكان قد اجتمع مع بنى خفاجة كثير من العرب ، فتصافوا واقتتلوا ، فانهزم العسكر العباسى ، وقتل كثير منهم ، ومنهم قيصر ، وجرح ارغش جراحات بالغة ، وكثر النواح والبكاء على القتلى فى بغداد ، فجهز الوزير جيشاً كبيراً ، وخرج فى طلب خفاجة ، فرحلوا إلى البادية ، ثم طلبوا الصلح ، فتم ذلك(١) .

الأمير الغضبان الخفاجى

٥٦٠ — ٥٦٨ هـ

تولى حكم الدولة فى ظروف قاسية ..

.. وفى إيامة أغار بنو حزن من خفاجة عام ٥٦٨ هـ على سواد العراق وسبب ذلك إن الحماية كانت لهم بسواد العراق فلما تسلم يزدن « الحلة » أخذها منهم ، وجعلها لبنى كعب الخفاجيين ، وأغار بنو حزن الخفاجيون على السواد ، فسار إليهم يزدن فى عسكر ، ومعه الغضبان الخفاجى أمير

(١) ١١/١١٢ تاريخ ابن الأثير ، ٣/٥٢٣ تاريخ ابن خلدون .

بنى كعب الخفاجيين ، لقتال بنى حزن ، ولكن بعض الجند قتل الغضبان ، ولما قتل عاد الجيش إلى بغداد ، وأعيدت خفارة السواد وحمايته إلى بنى حزن الخفاجيين(١) .

معارك عام ٥٨٨ هـ

فى عام ٥٨٨ هـ نهبت بنو عامر البصرة ، ثم فارقوها لما بلغهم أن بنى خفاجة وبنى المنتفق قد جاءوا لقتالهم ، وساروا إليهم ، وقاتلوهم ، وانتصر بنو عامر فى المعركة ، وغنموا أموال بني خفاجة وبنى المنتفق(٢) .

ويلاحظ أن الخلافة العباسية كانت تحارب الدولة الخفاجية بكل ما فى يدها من وسائل الأعلام ، فتطلق عليهم : قطاع طرق ، أو قطاع قوافل الحجاج ، وماشا كل ذلك .. لتأليب الرأى العام ضدهم .

---

(١) ١١/١٦٠ تاريخ ابن الأثير .
(٢) ١٢/٣٤ تاريخ ابن الأثير .

الرحالة الأنداسى ابن جبير

يتحدث عن الخفاجيين

رحل ابن جبير الأندلسى فى آخر القرن السادس الهجرى إلى بلاد المشرق وزار الكوفة وكتب عنها ما يلى مما ننقله باختصار :

الكوفة مدينة كبيرة استولى الخراب على أكثرها ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها فهى لا تزال تضربها وبناء هذه المدينة بالآجر خاصة ولا سور لها ، ثم أفاض ابن جبير فى وصف مسجد الكوفة وأنه ليس فى الأرض مسجد أطول أعمدة منه ولا أعلى سقفا(١) .

ثم ذكر ابن جبير رحلته من بغداد إلى الموصل فى صحبة خاتون بنت مسعود وخاتون أم معز الدين صاحب الموصل وكان فى هذه القافلة بصحبتها حجاج الشام والموصل وبلاد فارس إلى أن قال : ولهما جنود برسمهما وقد زادهما الخليفة جنداً يشيعونهما مخافة العرب الخفاجيين بمدينة بغداد(٢) .

---

(١) راجع ٢١١ — ٢١٣ من رحلة ابن جبير الأندلسى طبع ليدن عام ١٩٠٧ .

(٢) راجع ٢٤٠ من رحلة ابن جبير الأندلسى طبع ليدن عام ١٩٠٧ .

فابن جبير يذكر عدة أمور :

١ – أن حروب بنى خفاجة الكثيرة المتعددة قد أثرت فى الكوفة وسرعة خرابها.

٢ – أن فى بغداد فرعا عظيم من الخفاجيين كان موجوداً بها فى القرن السادس الهجرى .

وهذه هو كل ما تركه لنا التاريخ من أخبار بنى خفاجة فى القرن السادس الهجرى ، ولا شك أن كثيراً من تاريخ الأسرة مايزال مدفونا فى ثنايا المصادر التاريخية والأدبية المختلفة التى لم نطلع عليها إلى الآن .

وإذا ما علمنا أن الخليفة وجيوشه قد أجلت بنى أسد أهل « الحلة المزيدية » من العراق وشتت شملهم فى البلاد عام ٥٥٨ ﻫ وقد اشترك فى إجلائهم ابن معروف أمير بنى المنتفق وكان بأرض البصرة فسكن بلادهم وورثها بعدهم ، وأن جيوش الخليفة قد أجلت أيضاً بنى معروف من البطائح عام ٦١٦ ﻫ ونكبوهم نكبة هائلة محت كيانهم التاريخى .

إذا ما علمنا ذلك ورأينا بنى خفاجة تعيش فى القرن السادس فى نفوذها القديم وسلطانها ، مع النكبات الحربية الجسيمة التى منيت بها ، أدركنا مدى مجد بنى خفاجة فى هذا العصر ومدى عظمتهم التاريخية الحافلة الخالدة .

الدولة الخفاجيـــة

فى القرنين السابع والثامن فى العراق

أما التاريخ السياسى والأدبى للأسرة فى القرن السابع الهجرى فلا يزال فى حاجة إلى جهود كبيرة لكشفه كشفاً تاريخياً جديداً .

وتاريخ الأسرة فى القرن الثامن الهجرى لم يصلنا عنه شىء اللهم إلا ما نراه فى رحلة ابن بطوطة .

وصف ابن بطوطة الكوفة فى هذا القرن فقال :

هى إحدى أمهات البلاد العراقية المتميزة فيها أفضل المزية ، فهى مثوى الصحابه والتابعين ومنزل العلماء والصالحين وعاصمة على بن أبى طالب . إلا إن الخراب قد استولى عليها ، وفسادها ، من عرب خفاجة المجاورين لها فإنهم يقطعون طريقها . ولا سور لها وبناؤها بالآجر وأسواقها حسان ، ثم وصف مسجدها وقال : وهناك فضاء متصل بالجدار القبلى من المسجد فى آخره دار على بن أبى طالب والبيت الذى غسل فيه ، ومن الجهة الشرقية من الجامع بيت مرتفع يصعد إليه ، فيه قبر مسلم بن عقيل بن أبى طالب ، وبمقربة منه خارج المسجد قبر عاتكة وسكينة بنتى الحسين (توفيا عام ١١٧ هـ) ، وأما قصر الأمارة بالكوفة الذى بناه سعد بن أبى وقاص فلم يبق منه إلا أساسه ، والفرات من الكوفة على مسافة نصف فرسخ من الجانب الشرقى منها(١) .

---

(١) ١٣١ رحلة ابن بطوطة طبعة عام ١٣٨٧ هـ الطبعة الأولى .

وقال ابن بطوطة فى موضع آخر : وسافرت إلى البصرة صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة وهم أهل تلك البلاد ولهم شوكة عظيمة وبأس شديد ولا سبيل للسفر فى تلك الأقطار إلا فى صحبتهم وكان أمير تلك القافلة شامر بن دراج الخفاجى(١).

فهذا الرحالة يثبت لنا :

أولا : مجد الأسرة ونفوذها وسطوتها وبأسها فى العراق فى هذا العهد.

ثانيا : أن الحروب التاريخية العظيمة التى كانت تقوم بها الأسرة أدت إلى قطع طريق الكوفة وخرابها.

ثالثا : أن أمير القافلة التى كان فيها الرحالة الأندلسى هو « شامر بن دراج الخفاجى » ، وهذه هى الشخصية الوحيدة التى وصلنا اسمها فى هذا القرن.

وبعد فإن هذا المجد التاريخى العظيم مما لا يستطيع أن يكشف عنه نقاب التاريخ ولا أن يدونه وتحيط به جهود فرد واحد وهو فى حاجة إلى جهود كثيرة جديدة للكشف عن آثاره المدفونة المجهولة.

خفاجة تحمى أرضها بشبا القنا   وبيض لها فى مقنع الهام مشرب

من قصيدة طويلة جدا للشاعر اليمنى ابن حمزة من أئمة اليمن الملوك وتوفى عام ٦١٤ هـ (راجع كنز الأنساب للحقيل — ص ١١٥).

---

(١) ص ١٠٨ من الرحلة.

الدولة الخفاجية فى العراق[1] فى القرن الثامن

يقـول الأستاذ السـويداء عن خـفاجة والدولـة الخفاجـية فى العـراق ما نصّه[2]. بنو خفـاجة من عقيل احـتفظوا بدلالة الـقوافل وحراستهـا حتى عام ٧٢٧هـ ١٣٢٧م يشتغلون أدلاء على القوافل الـتى تأخذ طريقها من العراق إلى الشام واليمن والجزيرة العربية ، يقول الرحـالة ابن بطوطة فى كتابه تحفة النظار فى غرائـب الأمصار : عن عام ٧٢٥ ـ ٧٣٢هـ ـ ١٣٢٤ ـ ١٣٣١م : سافرت إلى البصرة صحبـة رفقة كبيرة من عرب العقيلات وهم أهـل تلك البلاد ولهم شوكة عظـيمة وبأس شديد ولا سبـيل للسفر لـتلك الأقطار إلا فى صحـبتهم وأميرهم شامر بن دراج الخفاجى [3].

وأصبحت قيادة القوافل وخفارتها وحـراستها وبيع الإبل وجلب البضائع من نصيب بنى خالد الخفاجيين طـوال فترة حكمهم التى دامت من عام ١٠٨٠ حتى ١٢٠٨ هـ ، بل إن كل التقارير تشير بوضـوح إلى بنى خالد ومسئوليتهم عن حماية القـوافل ومسئولية أميرهم فـى تعيين رئيس القافلة الـتى تخرج من الأحساء وتمر بالزبير وتنتهى إلى الشام ، وبما أن بنى عقيل القدامى اشتهروا فى العراق منذ بداية سيطرتهم على البحـرين بما فيها الأحساء ثم ما كان بعدئذ من إقامتهـم الأمارة فى العراق ، لهذا أصبـح العراقيون يشيرون إلـى كل وافد من شبه الجزيرة العربية بهذا اللفظ عقيلى .

عاشت العقـيلات مجموعة متجانسـة حتى اعتقد بعضهم أنـهم يرجعون إلى نسب واحد .

---

(١)راجع كتاب « الدولة الخفاجية فى التاريخ ».

(٢) ص ١٧ عقيلات الجبل تأليف عبد الرحمن بن زيد السويداء.

(٣) تحفة النظار ١ / ٢٠٤ .

إنهم مجموعة عسكرية اقتصادية متجانسة تأثرت بكل ما اعترى المنطقة ، عملوا فى التجارة التى هى عصب الاقتصاد ، وخدموا فى سلك الجندية الذى هو قلب الأمن ، فقد أورد ابن سند البصرى : أن العقيلات فئة من أهل نجد المعروفين بعقيل ، أما سليمان فائق بك فيقول : إن عشيرة العقيلات تتكون من فرقتين الأولى من نجد وهم «القصيمات» والثانية وإن كان أصلها من نجد إلا أنها ترجع إلى شمر الجربا ، أما «موريزى» ١٢٢٤هـ ١٨٠٩م فيقول : إن لفظ العقيلى صار يطلق على الجندى العامل فى حراسة قوافل المسافرين عبر الصحراء أو عبر أراضى دجلة والفرات ، أما «داوس» فيعرف العقيلات بقوله : بأن عقيل كانت مهنة لهؤلاء الجماعة ولم تكن رابطة نسب ولادم ، وأنها كانت الجندية والحراسة ، وتعرف المخابرات البريطانية العقيلات بقولها : إن العقيلات ليسوا قبيلة ولكنها منظمة .

من تاريخ الأمراء الخفاجيين

فى بدايات العصر الحديث

الأمير على الجوربجى خفاجى

يحمل أبناء هذا الأمير وأبناء أعمامه فى ألقاب أسراتهم النسبة إلى حلب ، وحلب مدينة من عواصم الدولة الإسلامية ، وعاصمة ملك الحمدانيين والكلابيين ، وموطن من مواطن الخفاجيين ، ومن ذلك نستنتج أن هذا الأمير من بنى خفاجة الذين هاجروا من الكوفة واستوطنوا حلبا من أجيال بعيدة ، ولا يبعد أن يكون من سلالة الأمير ابن سنان الخفاجى الذى بسطنا الكلام عليه فى البحوث الماضية ، أو من سلالة أبناء أعمام ابن سنان ، فهو إذاً إما أن يكون من سلالة بنى حزن الخفاجيين التى كان منها ابن سنان ، أو من سلالة بنى كعب أبناء عمومة ابن سنان الأمير والذين كانوا يقيمون أيضا فى حلب وتحدث عنهم ابن سنان فى بعض قصائده .

وعلى أى حال فقد نشأ الأمير على خفاجى فى بيت عريق فى المجد والسؤدد وورث ثروة واسعة عن أسرته ، واستغل ماله الضخم فى حركة التصدير والاستيراد وتنقل بين القسطنطينية وبين ثغور البحر الأبيض المتوسط يرقب عمله التجارى الواسع ويعمل على نمو ثروته الكبيرة الضخمة ويساهم بماله ونشاطه فى خدمة البلاد الإسلامية . وصار للأمير

بحسبه التليد وثروته الموفورة وبمواهبه الطيبة وأخلاقه الكريمة مركز أدبى ممتاز فى عصره الذى عاش فيه .

ولد الأمير فى ثغر دمياط التى هاجر إليها أحد أجداده فى ظروف لا نعلم للآن من أمرها شيئاً ، ويمكننا أن نرجع تاريخ هذه الهجرة إلى القرن الحادى عشر ، أى إلى نحو عام ١٠٢٥ ﻫ .

ولقد كانت الصلة بين دمياط وحلب موجوبة ، فهناك علماء من دمياط هاجروا إلى حلب ، وعلماء من حلب هاجروا إلى دمياط . . يحدثنا التاريخ أن العالم الشيخ عبد الكريم الشراباتى الحلبى (١١٠٦ — ١١٧٨ ﻫ) تتلمذ على محمد بن محمد البدرى الدمياطى(١) ، وكذلك عبد الكافى بالحلبى (١١٨٦ﻫ) تتلمذ على الشيخ أحمد الدمياطى(٢) ، والشيخ عمر بن محمد المصرى (١١٣٧ ﻫ) هاجر إلى حلب وصار نزيلها(٣) ، والشيخ عامر الشافعى المصرى هاجر إلى حلب(٤) .

ولفظ جلبى كان شائعاً وهو نسبة إلى حلب ، ومن علماء حلب العلامة سعدى جلبى من علماء حلب فى القرن الحادى عشر(٥) ، وكذلك إبراهيم الجلبى المتوفى عام ١١٠٩ ﻫ ، وقد أخذ المعقولات والمنقولات عن السيد الضرير وكان معيد درسه(٦) .

---

(١) ٣/٦٣ سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر .
(٢) ٨٠ ﺣ ٣ المرجع . (٣) ١٨٨ ﺣ ٣ المرجع .
(٤) ٢٢٩ ﺣ ٢ المرجع . (٥) ٥٥ ﺣ ١ سلك الدرر .
(٦) ٢٨ ﺣ ١ المرجع .

كانت دمياط مولد الأمير على خفاجى وموطن إقامته ومجالا لأعماله الاقتصادية الكبيرة ، وقبل ذلك هاجر إلى دمياط من حلب كثير من الأسر العريقة كأسرة البدرى التى منها عبد الله بن محمد البدرى المصرى (٧٤٨ هـ) وسواه .

وتزوج الأمير بعد أن بلغ سن الشباب السيدة الكريمة العلوية الشريفة صافية بنت الشريف أحمد بن الشريف الحسيب النسيب السيد محمد(١) بن سلامة بن محمد بن على بن صلاح الدين اللقيمى عين أعيان دمياط المحروسة والذى رحل كما فى نسبة الشرف الخطية — إلى دمياط عام ٩٢١هـ ، وأعقب بها العقب الكثير الموجودين بدمياط إلى الآن .

والشريف محمد جد الشريفة صافية كان متزوجا من أسرة علوية وقد رزق ثلاثة أبناءهم : يوسف ، ومحمد ، وأحمد والد الشريفة صافية ، والثلاثة والدتهم بنت الشريف أبى الربيع سليمان علم الدين بن الشريف أحمد شهاب الدين بن العلامة سراج الدين لأبى حفص عمر الحنفى القرشى ونائب الشرع الشريف بدمياط ، والجد الأعلى ابى حفص هو على بن على أبى النجا بن زين العابدين بن عبد الخالق بن موسى القاسم بن جعفر

(١) هو سبط الشريف نور الدين بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الحسنى المشهور بالمغربى الكحال ينتمى إلى عبد القادر الجيلانى الذي ينتمى إلى موسى الثانى بن عبد الله الرضا بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب سبط الرسول .

الزكى بن على بن العلا بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين سبط رسول الله ﷺ .

وقد رزق الشريف يوسف عم الشريفة صافية الشريف محمد المدعو حمادة . ورزق عمها الثانى الشريف محمد أربعة أبناء هم : الشريف محمد ، والشريف قاسم ، والشريف أحمد البصير ، والشريف على .

أما والد الشريفة صافية ، وهو الشريف أحمد ، فأعقب عدة أبناء هم : الشريفة صافية ، والشريف محمد السعيد ، والشريف مصطفى ، والشريف عمر ، والشريف عثمان ، والخمسة والدتهم بنت العلامة الكامل أبى هريرة عبد الرحمن ابن الإمام بقية السلف على نور الدين بن غانم المقدسى القاهرى المولد الخزرجى السعدى العبادى ، إذ هو ابن محمد بن محمد بن على بن خليل ابن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن غانم المقدسى بن على بن حسين ابن إبراهيم بن عبد العزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة الأنصارى الخزرجى .

وقد ترجم الجبرتى لأبناء الشريف أحمد إخوة الشريفة صافية ونقل بعضه عنه على مبارك باشا فى الخطط التوفيقية ، قال : هؤلاء الأخوة الأربعة : مصطفى وعمر وعثمان ومحمد ، هم أولاد المرحوم أحمد بن محمد ابن أحمد بن صلاح الدين اللقيمى الدمياطى الشافعى ، وكلهم شعراء بلغاء ، ورابعهم الشيخ مصطفى اللقيمى (المتوفى عام ١١٧٣هـ) وهو أفضل النبلاء ،

وأنبل الفضلاء ، بلبل دوحة الفصاحة وغريدها ، من أحازت له بدائعها : طريفها وتليدها ، الماجد الأكرم ، ومن محاسن كلامه وبديع نظامه مداميته الأرجوانية في المقامة الرضوانية التي مدح بها الأمير رضوان كتخدا(١) ، وهي مقامة بديعة كبيرة نحو الكراستين ذكرها الجبرتي بتمامها(٢) .. إلا أن في سلسلة نسب هؤلاء الإخوة التي ذكرها الجبرتي (بنو أحمد بن محمد ابن أحمد بن صلاح الدين اللقيمي) مخالفة لما نقلناه هنا عن نسبة الشرف الخطية التي تذكر أنهم بنو الشريف أحمد بن الشريف محمد بن سلامة ابن محمد بن علي بن صلاح الدين اللقيمي، والصحيح السلسلة التي وردت في نسبة الشرف الخطية .

واقتران الأمير علي خفاجي بالشريفة صافية المذكورة دليل على سمو مركزه الأدبي في هذه المدينة ، إذ كانت سلالة الحسن والحسين لا تصاهر إلا بيوت المجد الرفيعة العماد .

لا نستطيع أن نحدد التاريخ الذي ولد أو توفي فيه الأمير علي الخفاجي وإنما نستطيع أن نقول : إنه ولد في القرن الحادي عشر الهجري وأوائل القرن الثاني عشر .

---

(١) راجع ١١/٥٧ الخطط التوفيقية ، ١/٢٢١ الجبرتي — وراجع ترجمة العلامة مصطفى اللقيمي في الجبرتي (٢٢١—١/٢٤٢ تاريخ الجبرتي) .

(٢) راجع ٢٢٢ — ١/٢٢٩ الجبرتي — وله قصيدة في مدح الشيخ الحفني (١/٣٠٢ تاريخ الجبرتي) .

والدليل على ذلك واضح ملموس فالجد الأعلى لزوجته الشريفة صافية وهو صلاح الدين اللقيمى قد هاجر إلى دمياط عام ٩٢١ هـ كما تقول نسبة الشرف الخطية وأقام بها ، وإذا علمنا أن بينه وبين الشريفة صافية خمسة آباء نحدد لهم مدة تقارب قرنا ونصفا من الزمان ، وإذا كان اللقيمى توفى بعد عام ٩٢١ أو على الأرجح نحو عام ٩٤٥ هـ كان تاريخ ميلاد الشريفة صافية نحو عام ١٠٩٥ هـ ، وكان اقتران الأمير على خفاجى بها نحو عام ١١١٥ هـ .

والظاهر أن ميلاد الأمير كان نحو عام ١٠٩٠ هـ . ويؤيد هذا التحديد التاريخى الذى حددناه أن الشيخ مصطفى اللقيمى — وهو أخو الشريفة صافية — توفى كما ذكره الجبرتى(١) عام ١١٧٣ هـ(٢) .

وفى الجبرتى يذكر اسم على بيك الدمياطى وأنه مات عام ١١٥٧ (١٨٥ جـ ١ جبرتى) . ولقب بيك كان يطلق فى هذا العهد على كثير من الأمراء كما ترى فى تاريخ الجبرتى . فهل على بيك الدمياطى هذا هو الأمير على خفاجى ؟ لا يستبعد ذلك ، وعلى أى حال إن لم يكن هو ، فإن الأمير لا بد أن يكون قد توفى نحو ١١٦٠هـ ، على وجه التقريب ، وإذاً فقد نشأ وعاش

---

(١) راجع ترجمته وشعره ومقاماته فى مدح الأمير رضوان كتخدا فى الجبرتى جـ ١ ص ٢٢١ — ٢٤٢ ، وكان الشيخ مصطفى اللقيمى من ندماء الأمير رضوان ١٩٢/١ جبرتى .

(٢) ٢٤٢/١ الجبرتى .

الأمير على خفاجى فى القرن الثانى عشر ، وتوفى بعد منتصف هذا القرن الثانى عشر بقليل .

ونحن لا نعلم شيئاً عن تاريخ شخصيات أخرى قبل هذا الأمير ، اللهم إلا شخصية الحاج يوسف خفاجى بن الحاج محمد خفاجى ، وإلا ابنه المرحوم إبراهيم بن الحاج يوسف خفاجى الذى كان يعاصر الأمير على الجوربجى . وعلى أى حال فقد أعقب الأمير على الجوربجى خفاجى من زوجته الشريفة صافية ابنه « محمد جلبى خفاجى » الذى سنتحدث عنه بعد قليل . ولا ندرى بعد هذا الأمير شيئاً آخر من تاريخ الأسرة ، اللهم إلا ما نشير إليه نسبة الشرف الخطية من أنه ولد للأمير ابنه محمد جلبى خفاجى ، وإلا ما نقرؤه على هذه اللوحة التاريخية الموجودة بمسجد ولى الله سيدى محمد البدرى بدمياط ، ونصبه : « وأنشأه الخواجة[1] محمد والخواجة إبراهيم ولدى الحاج يوسف خفاجى عام ١١٠٦ هـ — ١٦٩٤ م[2] » .

والظاهر أن الحاج يوسف خفاجى كان أحد أعمام الأمير على خفاجى

---

(١) خواجة معناه الماهر وهو لفظ تركى ، ونجد فى تاريخ حلب كثيراً من الشخصيات التى كانت تلقب بهذا اللقب كالإمام الشيخ إبراهيم بن الخواجا قاسم الحلبى الذى ولى قضاء أزمير وتوفى عام ٩٨٣ هـ (١٠٧ ج ٦ أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء) .

(٢) راجع الأهرام عدد ١٩٣٩/٥/٢٣ .

الذين عاشوا فى ثغر دمياط وأقاموا بها واستوطنوها . وإذا فنستطيع أن نستخلص من ذلك النتائج الآتية .

١ ــ أن دمياط كانت موطناً لأسر علوية عريقة .

٢ ــ أن أسرة الأمير على خفاجى هاجرت من حلب واستقرت بدمياط نحو عام ١٠٢٥ هـ ، وأن هذا الأمير تزوج سيدة علوية هى الشريفة صافية ، وقد أنجب منها ذرية كريمة منها الشريفة محمد جلبى خفاجى(١) .

٣ ــ أن تاريخ أسرة خفاجى بدمياط يبدأ من نحو ثلاثة قرون ونصف .

ومن أبناء عمومته الأمير على خفاجى الحاج يوسف خفاجى الذى تزوج الحاجة ظهور بنت المرحوم الحاج نصر الدين الطرابلسى ، وهى أم ابنه الحاج إبراهيم بن يوسف بن محمد خفاجى صاحب الوقفية المذكورة .

وقد خلف الحاج يوسف ابنه الحاج إبراهيم بن يوسف خفاجى الذى

---

(١) فى الجبرتى ١/٢٠٥ يذكر أنه مات أحمد جلبى بن الأمير على .

وقد يكون الجبرتى يشير بهذا إلى الأمير على خفاجى ، ويكون أحمد جلبى هذا ابنا من أبنائه ، الذين لم يرد لهم ذكر فى النسبة الخطية ، لأنه ليس من أبناء الشريفة صافية .

ويذكر الجبرتى أيضا (٢/٢١٣) أنه فى عام ١٢٠٥هـ مات أحمد بن الأمير على ، وكان شابا لطيف الذات مليح الصفات ، ومات أيضا الأمير عثمان معتوق المرحوم الأمير محمد جوربجى ، وكان من أكابر بيتهم ، ومات أيضاً الأمير رضوان صهر أحمد جلبى المذكور (ابن الأمير على) .

عاش إلى ما بعد عام ١١١٩ هـ وخلف ذرية هي أولاده : على شلبي القاصر الآن (أى عام ١١١٩ هـ) وهو من مستولدته أرنجة بنت عبد الله ، وفاطمة وصالحة البكران القاصرتان الآن وهما من زوجته المصونة عائشة بنت قدوة الأماثل المرحوم إبراهيم جوربجى خفاجى ابن المرحوم الأمير محمد جوربجى سردار طائفة الكوكالية[1] ، وبنت أخرى من زوجته معتوقة خديجة بنت عبد الله .

وكان الحاج إبراهيم خفاجى ووالده يوسف بن محمد خفاجى من كبار التجار بدمياط .

وترك الحاج يوسف خفاجى بنتين شقيقتين لابنه إبراهيم خفاجى وهما :

---

(١) بثغر دمياط ، والأمير محمد جوربجى هو ابن عمة الواقف الحاج إبراهيم بن يوسف خفاجى ، وقد أعقب — كما ورد فى وقفية للشهابى أحمد محررة عام ١١٢٣ هـ - ابنه الشهابى أحمد سردار طائفة الكوكالية بالثغر بعد أبيه ، وابنه الآخر إبراهيم جوربجى ، وهما أشقاء ... وللأمير محمد جوربجى ، أيضاً كما فى وقفية الشهابى — أخت شقيقة هى حرم مصطفى جوربجى ، ومن أسرة هذا الأمير : عبد الرحمن ابن المرحوم ناجى جوربجى سردار طائفة الكوكالية بالثغر (راجع وقفية الشهابى أحمد) .

(ا) حرم ابن ابن عمة الواقف (إبراهيم خفاجى) : فخر الأماثل والأعيان إبراهيم جورباجى ابن المرحوم الأمير محمد جورباجى[1].

(ب) حرم فخر أمثاله محمد بن مصطفى العلايلى وقد أعقبت منه ابنها فخر أمثاله سيدى محمد.

---

(1) لفظ جوربجى أو جورباجى لفظ تركى معناه أميرالاى الفرق الانكشارية فى الجيش التركى (ص ٢٩ عدد ٩٧ من دائرة المعارف الإسلامية).

بنو خفاجة فى الأندلس

لما فتحت الأندلس عام ٩٢هـ واستقر بها المسلمون ، أقبلت القبائل العربية على الهجرة إليها أفرادا وجماعات ، وكان ممن هاجر إلى الأندلس جماعة من القيسيين والعامريين والخفاجيين ، يقول ابن حزم : «وخفاجة بطن ضخم ، منهم : النحوى محمد بن معارك المعروف بالعقيلى بقرطبة [١].

وليس أمامنا الآن مراجع واسعة نعرف كيف هاجر الخفاجيون ولامن هاجروا منهم ، ولا فى أى مكان أقاموا ، ولا الكثير من شخصياتهم هناك .

وإنما نعرف بكل تأكيد أن الشاعر المشهور أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة الاندلسى وأسرته كانوا يقيمون فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى ، وأنه ولد ونشأ ومات بشقر من أعمال بلنسية ، ويبدو أن إقامة أسرته كان بها ، وابن خفاجة الأندلسى علم مشهور من أعلام الأدب العربى عامة والأندلسى خاصة . . وقد تحدث عنه كثير من الأدباء والنقاد والباحثين .

ونجد كثيراً من علماء الأندلس فى آخر اسم كل واحد منهم هذا اللقب : القيسى ، أو العامرى [٢]، وهذا يرشد إلى هجرة كثير من القيسيين والعامريين والعقيليين من جزيرة العرب إلى بلاد الأندلس ، ومن العامريين فى الأندلس من ينسب إلي نمير بن عامر أو إلى قشير بن كعب .

ومن علماء الأندلس : محمد بن عبد الملك العبسى ، وقد عاش فى القرن الخامس الهجرى [٣]، ومحمد بن عريب العبسى وقد عاش فى القرن

(١) ١٧٤ أنساب العرب لابن حزم .

(٢) راجع : المكتبة الأندلسية .

(٣) ١٢٣ التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار المتوفى عام ٦٥٩هـ .

السادس [١]، وأبو بكر محمد بن عمر العقيلي[٢] المتوفى ٥٣٠هـ .

ومحمد بن عريب العبسي وعاش في القرن السادس . . وفي نفح الطيب ان من سكان الأندلس من ينسب إلى نمير بن عامر بن صعصعة وهم بغرناطة كثير، ومنهم من ينسب إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، ومنهم بلج المتوفى عام ١٦٥ هـ صاحب الأندلس ، ومنهم من ينسب إلى كلاب بن ربيعة وسواهم [٣].

ويعد ابن حزم من الخفاجيين في الأندلس . العالم النحوى محمد ابن معارك المعروف بالعقيلي بقرطبة [٤].

●●●

---

(١) ٢٣٢ المرجع السابق .

(٢) ١٢١ المعجم لابن الأبار ، و١٦٦ التكملة لابن الأبار أيضا .

(٣) ٢ : ٢٨٢ و ٢٧٣ نفح الطيب المقرى نشر فريد رفاعى .

(٤) ١٧٤ أنساب العرب لابن حزم .

ابن خفاجة الأندلسي[1]

٤٥٠ ـ ٥٣٣ هـ

ـ ١ ـ

ولد أبو إسحق الخفاجي إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة سنة ٤٥٠ هجرية ببلدة شقر وتوفي بها سنة ٥٣٣ هـ ، فعاش في أواخر عصر بني أمية وزمن ملوك الطوائف ، وإبان دولة المرابطين .

وهذه العصور أزهى عصور الأندلس ، وكانت الحياة حياة ترف ورخاء ، وتبع هذا الترف الميل إلى اللهو والمجون وأنواع السرور ، وتغلب هذه الحال على عقول الأدباء والشعراء ، فكان الشعر ضربا من التفكه ، وكان الترف وبهاء الطبيعة يولدان في النفس حب الجمال ، وسعة الخيال ، وقد كان لابن خفاجة حظ وافر في مناجاة الطبيعة وجمالها ، لأن بلدته التي عاش فيها ومات بها كانت من أجمل البلاد وأحسنها بهاء .

ـ ٢ ـ

انقطع ابن خفاجة للنظر في جمال الطبيعة فكان كثير التأمل في المشاهدات ، وكانت نظراته تقود عقله ، وترسم له طرق التفكير وأنواع الخيال، فكانت كل معلوماته وأخيلته من طريق النظر والتأمل في جمال الألوان وتناسق

---

(١) له ترجمة طويلة في قلائد العقيان للفتح بن خاقان الأندلسي (ص ٢٤١ ـ ٢٥٣)، وطبع ديوانه في بيروت عام ١٩٥٢ طبعة جديدة وفي نفح الطيب وسواه من كتب الأدب تراجم واسعة له . وفي الجزء الرابع ٣٠٢ ـ ٣٠٩ من كتاب نفح الطيب نشر فريد رفاعي نماذج لنثره ، وفي ٣٧٨ ـ ٣٧٩/ ٥ من المرجع نفسه ترجمة له أيضا.

الأشياء . وقد حملته دقة النظر على دقة التعبير ، فلم يميز من الأشياء التى لا يراها رلا ما يتفق مع صفاته النفسية ، فكان دائما فرحا مسرورا ، لا تكاد تجده يصف منظرا محزنا أو شيئا قبيحا ، أو نفسا منقبضة ، أو يتكلم عن بؤس الأيام وأهوال حوادثها ، إلا فى آخر حياته ، فكان شعره صورة لنفسه المملوءة بالسرور والإعجاب بالجمال ، وكانت نفسه مطمئنة هادئة ميالة إلى اللهو والمجون ، فكان شعره أيضا يمثل هذا الاطمئنان النفسى ، والهدوء الفكرى ، لأنه كان يريد أن يعيش فى نوع من الأحلام اللذيذة ، لذلك كان أثر هذه الحياة عظيما فى نفسه ، وولدت فيها كثيرا من المعانى الشعرية ، واندفع إلى تصويرها ، وإلى التعبير عنها بما فطر عليه من دقة الإدراك . فكان الجمال مثار شعره ، ومبعث خياله وافتتانه ، يتتبع روائعه ويخرج إلى البساتين ليسمع خرير الماء ، ولينعم بمشاهدة جريانه ، ويصف ذلك فى شعره ، ويجارى الشعراء أحيانا فى أوصافهم .

- ٣ -

ويشتمل شعر ابن خفاجة على المدح ، والعتاب ، والرثاء ، والشكوى ، والوصف والمداعبات ، ولكن أجود شعره فى الوصف ، فإن الخيال هو كل شئ فى شعره لكنه خيال يدعو إلى حب الجمال ، ورقة الشعور ، ويهذب الذوق ، ويملأ القلب بهجة وسرورا ، لأن ابن خفاجة مصور ماهر ، ووصاف مبدع للمشاهدات ، وقد امتلأت نفسه بذلك حتى فى المدح والرثاء ، فتجده إذا مدح يصف الثناء ، وأن الصباح ضحك فكشف عن ثناياه البيض ، وأن ممدوحه وضاح المحيا :

تشيم بصفحتيه بروق بشر تعيد بشاشة الروض الجديب
وقد ضحك الصباح بمجتلاه وراء الليل عن ثغر شنيب

أشيم به سنا برق يمان يحفزنى إلى المرعى الخصيب

وإذا رثى لا يغيب عنه الوصف حتى في موقف البكاء ، لأنه يمزج بكاءه بوصفه الجميل ، وبما فى نفسه من المعانى التى ملكت منه كل شئ ، فيقول :

فى كل ناد منك روض ثناء وبكل خد فيك جدول ماء
ولكل شخص هزة الغصن الندى غب البكاء ورنة المكاء

وهوفى ذلك يشبه الدموع السائلة على الخدود بجداول الماء ، ويشبه اضطراب أجسام الباكين وانسكاب دموعهم ، بهزة الغصن الذى غمرته السماء بالماء ، ويشبه أنينهم وإجهاشهم بالبكاء بصوت قبرة تصفر وتنوح .. وأكثر قصائده مبدوء بالوصف ..

أما فى أسلوبه فهو كثير التصنع لإمعانه فى تتبع أنواع البديع والبيان ، حتى لا يكاد يجد القارئ شيئا من كلامه إلا استعارة أو مجازا أو تشبيها ، وقد يدعو ذلك أحيانا إلى استغلاق المعنى .ولكن شعره فى جملته يعتبر معجما لألفاظ مختارة وعبارات جميلة ، وتشبيهات بديعة ، ومعرضا لكل أنواع الصناعة اللفظية . وقد اشتهر بقوة الخيال وسلامة العبارة .. مع ميله أحيانا إلى ذكر المعانى الخفية والألفاظ الغريبة والمبالغة فى تشبيهاته [1]:

ولابن خفاجة ديوان شعر كبير مطبوع ، شرحه الأستاذ الصحفى محمد رضوان أحمد شرحا مطولا لا يزال مخطوطا ولا أدرى أين ذهب هذا المخطوط بعد وفاة مؤلفه .

- ٤ -

ويقول عنه الفتح بن خاقان فى كتابه « قلائد العقيان» :

(١) راجع : كتاب قصة الأدب فى الأندلس لخفاجى .

تصرف فى فنون الإبداع كيف شاء ، فجاء نظامه أرق من النسيم العليل، وآنق من الروض البليل ، يكاد يمتزج بالروح ، وترتاح إليه النفس كالغصن المروح (١).

وترجم له ابن خلكان فى كتابه « وفيات الأعيان » (٢).

- ٥ -

ولابن خفاجة نثر رائع جميل كذلك ، وفى الجزء الرابع ص ٣٠٢ - ٣٠٩ من كتاب نفح الطيب للقرى رسائل أدبية لابن خفاجة ، وفى الجزء الخامس من الكتاب (نشر فريد رفاعى) ترجمة له أيضا (٥: ٣٧٨ - ٣٧٩).

وفى نسبة ابن خفاجة الأندلسى إلى بنى خفاجة يقول صاحب بغية الملتمس عنه ما نصه : إبراهيم بن أبى الفتح بن عبد الله بن خفاجة ، أبو إسحاق الخفاجى من خفاجة ، شاعر مشهور متقدم مبرز ، حسن الشعر جدا ، وشعره كثير مجموع ، وكانت له همة رفيعة ، وتوفى لأربع بقين من شوال سنة ٥٣٣هـ(٣) فى عصر يوم الأحد السادس والعشرين من شهر شوال (٤).

---

(١) ٢٤٢ قلائد العقيان .

(٢) ١: ٢٣ و ٢٤ وفيات الأعيان .

(٣) ص ٢٠٢ - ٢٠٣ بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس للضبى - ولابن خفاجة ترجمة في المعجم لابن الآبار ، وفى مجلة الرسالة للزيات فى الأعداد الأولى عدة مقالات عن ابن خفاجة والطبيعة فى شعره بقلم عبد الرحمن جبير .

(٤) ٥٩ - ٦٠ المعجم لابن الآبار .

فتحت مصر على يد عمرو بن العاص فى سنة ١٩ هـ واستقر بها عمرو وحامية كبيرة من جيوش المسلمين ثم هاجر إليها كثير من القبائل العربية وأقاموا فى ريفها الخصب .

ومن هؤلاء « بنو سليم وعدة قبائل من قيس نزلوا أرض مصر سنة ١٠٩هـ . وأمير مصر إذ ذاك الوليد بن رفاعة الفهمى - القيسى - ولم يكن بأرض مصر أحد من قيس قبل ذلك ، إلا ما كان من فهم وعدوان - وهما من قيس - فوفد عبد الله بن الحبحاب مولى بنى سلول - القيسيين - عامل هشام ابن عبد الملك الخليفة الأموى - على مصر ، فسأله أن ينقل إليها من قيس أبياتا فأذن له هشام فأمر بإلحاق ثلاثة آلاف منهم على أن لا ينزلوا بالفسطاط ، فقدم بهم ابن الحبحاب وأنزلهم الحوف الشرقى وفرقهم فيه .وكان ممن قدم منهم مائة أهل بيت من بنى عامر بن صعصعة البطن المشهور التى منها بنو كلاب وعقيل وقشير وهلال ونمير ، فأنزلهم ببلبيس وأمرهم بالزراعة ثم تحمل إليهم خمسمائة أهل بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك فأقاموا سنة فأتاهم نحو ١٥٠٠ أهل بيت من قيس حتى إذا كان زمن خلافة مروان بن محمد وولى على مصر الحوثرة بن سهيل الباهلى هاجرت إليها قيس فمات مروان (سنة ١٣٢)، وبها ثلاثة آلاف أهل بيت من قيس ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم ، فاحصوا فى ولاية محمد بن سعيد فوجدوا ٥٢٠٠ ما بين صغير وكبير (١) .

وذكر المقريزى طائفة من القبائل فيما بين الاسكندرية والمحلة الكبرى ،

(١)٦٤ - ٦٦ البيان والإعراب عما بمصر من الأعراب للمقريزى ت ٨٤١ هـ .

ومنها خفاجة (١) .

وذكر الحمدانى طائفة من بنى خفاجة ببلاد البحيرة (٢).

وذكر صبح الأعشى بنى عقيل ونزولهم بالوجه البحرى (٣).

وإذاً فهناك قبائل من قيس ومن بنـى عامر ومن عقيل نزلت بمصر ، ولا نستبعد أن يكون نزول بعض قبائل بنى خفاجة إلى مصر فى هذه الفترة أيضا أو قبلها ، لا سيمـا وقد علمنا أن شاعرا هو وأولاد أعمامه أقـاموا بمصر فى عهد عمر بن الخطاب وهو أبو العيال الخفاجى .

هذا ويذكر ابن الأثير فى كتابه الـلباب ـ صفحة ٣٨١ الجزء الأول طبعة ١٣٥٧ هـ ـ أن لقب الخفاجى نسبة إلى خفـاجة بن عمرو بن عقيل ، وهو ابن أخى عبـادة ، وقيل إن اسم خـفاجة معاويـة ، وينقل عن الـسمعانـى أن بنى خفاجـة كانوا يسكنـون بنواحى الكوفـة وهم القبيل المـشهور ، وينسب إلـيهم الشاعر المفلق الأمير أبو سعيد بن سنان الخفاجى الحلبى .

• بعض فروع آل خفاجى فى مصر

أسرة خفاجى بتلبانة مركز المنصورة .

أسرة خفاجى بمسلة مركز السنطة غربية .

أسرة خفاجى بهورين مركز السنطة غربية .

أسرة خفاجى بشبين القناطر .

---

(١) ٦٩ البيان والإعراب .

(٢) نهاية الأرب ١٠٧ والسبائك ٤٢ .

(٣) ٦٩ جـ ٤ صبح الأعشى للقلقشندى .

أسرة خفاجى بدمليج مركز منوف .

أسرة خفاجى بدمياط ، ومنهم المرحوم محمد بك خفاجى وكيل وزارة الصحة الأسبق ، والمرحوم حسن خفاجى مدير قسم المبانى التعليمية الأسبق.

أسرة خفاجى بكوم القدح مركز أبو المطامير - بحيرة - وعميدهم هو عبد المنعم عوض عبد الجليل خفاجى - العمدة .

أسرة خفاجى بمرصفا .

أسرة خفاجى بالعدوة محافظة المنيا .

أسرة خفاجى بالقارة مركز أبى طشت مديرية قنا .

أسرة خفاجى بالعوكلية بجرجا وفرع آخر فى نجوع بنى واصل بساقلته مركز سوهاج.

أسرة خفاجى بأبو عمورى بنجع حمادى .

أسرة خفاجى بالفيوم ومنهم عميد الأسرة المرحوم الشيخ عبد الحليم خفاجى .

أسرة خفاجى ببنى سويف .

وهناك فروع أخرى كثيرة أخرى ذكر العديد منها فى كتاب « بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى ».

في مقدمة ديوان الامـام الشهاب الخفاجي المخطوط في مـكتبة الأزهر ، والذي حقـقه أديب وقدمه إلـى كلية اللـغة العربيـة بأسيوط ، ونال بـه شهادة الـدكتـوراه من جـامعـة الأزهر عـام ١٩٩٢، وكان لـي حظ الاشـتراك فـي مناقشته[١] .. بقول الشهاب .

ألا وإني فـرع انبثـق من جرثـومة العزبـية ، وغصـن سما مـن ذوائب شجرتها العلـية ، من فتية ارتدوا أردية المجد ، وحلوا بسرة بطـحائها في بطن تهامة وسراة نجد .

والشهاب علـم من اعلام القرن الحادي عشر الهجـرى ، وهو احمد بن محـمد بن عمـر ، ولقبه شـهاب الديـن الخفاجي المـصرى . كان مولـده في سريـاقوس بمصـر لعـام ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م . ثم رحـل الى الاستـانة فـي زمن السلطان مراد العثماني ، فولاه قضـاء سلانيك ، ثم تولى قضاء مصر . وقبل ان يوافيه أجله عام ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩ م . كان شهاب الدين نال منصب قاضي القضاة في القاهرة .

كان الخفاجي اديباً فذاً ولغوياً بارعاً ذكره المحبي في كتابه «خلاصة الاثر» فقال عنـه : صاحب التصانـيف السائرة واحد افراد الـدنيا المجمع علـى تفوقه وبراعتـه ، وكان في عصره بدر سـماء العلم ونور أفـق النثر والنظـم ،وشيخ

---

(١) قدم محمـد بكر الحاج عبد سلـمي رسالة ماجستير الى كلية الـلغة العربية بـالقاهرة بعنوان «الـشهاب الخفاجي وأدبـه» ونال عليها هـذه الدرجة العلمـية عام ١٤١٢هـ - ١٩٩١م درس فيها حياة الشهاب وشعره ونثره دراسة مستوعبة .

والشهاب الخفاجي ترجم له المحبِّي في كتابه «نفحة الريحانة» ص [٣٩٥ - ٤٧٧] والمحبي (١٠٦١ - ١١١١هـ) ممن عاصروا الشهاب وتأثروا بأدبه .

المؤلفين ورئيس المصنفين ، سار ذكره مسير المثل وطلعت أخباره طلوع الشهب فى الفلك، وكل من رأينا او سمعنا به ممن ادرك وقته ، معترفون له بالتفرد فى التقرير والتحرير وحسن الانشاء وليس فيهم من يلحق شأوه ، ولا يدعى ذلك مع ان فى الخلق من يدعى ما ليس فيه » (١) . اما ابن معصوم فمدحه وكرمه إلى آخر ما قال فيه(٢) . يقول صاحب « السلافة » فيه : «اجرى من ينبوع الفضل ما أخجل بمصر نيلها ، وبالشام سيحانه ، واهدى لارباب الادب من رياض ادبه اطيب ريحانه» (٢).

وبغض النظر عن آراء السابقين والمعاصرين فى الخفاجى فإن ابحاثه التى تركها فى اللغة والشعر ، تشير بكل تأكيد الى طول باعه فى عالمى الأدب واللغة ، وتضعنا وجهاً لوجه امام ثقافته الواسعة التى تنبئنا عنها «الريحانة» المعروفة «بريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا» اذ حوت على تراجم ادبية واسعة لشعراء القرن الحادى عشر وأدبائه وعلمائه فى مصر والشام واليمن والحجاز والمغرب .. كما تنبئنا المناصب القضائية التى تقلدها عن ثقافته الدينية التى أهلته لها ، زد على ذلك ، ما ظهر فى نثره من الادب المطبوع البعيد عن الصنعة والتكلف والحوشية والسوقية والاغراب والابتذال ، فرسائله ومقاماته تشهد له بأنه احد ابرز ادباء العصر بلا استثناء ، على رغم ما قيل عن ذلك العصر الادبى بأنه كان يغرب فى اضمحلال وفناء ، وهو عصر الافول العثمانى كما نعرف .

وللشهاب الخفاجى ايضاً ديوان شعر مخطوط (٣) ، وله قصائد اخرى جمعها محقق الديوان من تضاعيف مصنفاته ، منها مقصورة فى مدح النبى (ﷺ) ، عارض بها مقصورة ابن دريد .

وجدير بالذكر ان المحبى فى «خلاصة الاثر» روى له قصيدة دالية مشهورة

قال عنها : أنها من أجود شعره كما روى له بعض الأبيات الاخرى المتفرقة .
ويقول أحد الباحثين «شعر الخفاجي كثير ،قوى الأسلوب واضح المعنى كثير الوان الخيال ، ينم عن ثقافة صاحبه وعقليته وشخصيته» (٤) وهو يرى انه زعيم الشعر والشعراء في القرن الحادى عشر (٤).

ترك الشهاب الخفاجي مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه ومزيد اطلاعه وتحقيقه ، كما تدل ايضاً على ضلوعه في بابى المنثور والمنظوم ، ومنها :

١ ـ شرح درة الغواص فى أوهام الخواص للحريرى طبع فى مطبعة الجوانب في القسطنطينية ، وطبع بمصر العام ١٢٧٣ هـ ، وقد عكف الشهاب على نقد «درة الغواص» ودعم ما كان يراه فى مسائلها بالحجج والشواهد .

٢ ـ حاشية على تفسير البيضاوى طبعت ببولاق لعام ١٢٨٣ هـ .
وسماها «عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى ، وهى تقع فى ثمانية أجزاء .

٣ ـ طراز المجالس ، وهو من كتب الادب واللغة قسمه صاحبه الى خمسين مجلسا ، حوت ابحاثاً ومقالات نقلت عن كبار الادباء كالجاحظ والصاحب بن عباد فى موضوعات مختلفة .

٤ ـ ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا : يضم تراجم ادبية واسعة لشعراء القرن الحادى عشر وأدبائه وعلمائه فى مصر والشام واليمن والحجاز والمغرب .

٥ ـ شرح كتاب الشفاء للقاضى عياض سماه «نسيم الرياض في شرح القاضى عياض» طبع فى الإستانة لعام ١٢٦٧هـ .

٦ ـ ريحانة الندمان او ذوات الامثال يتضمن كل بيت مثلاً ، وهو موجود فى باريس وفى الخزانة التيمورية .

٧ ـ السوانح ، وهو مخطوط بمكتبة الأزهر (رقم ٦٥٣ خصوصية أدب)

٨ ـ كتاب «الرسائل الأربعون» .

٩ ـ كتاب حواشى على الرضى والجامى .

١٠ ـ حديقة السحر ، اشار اليها المؤلف فى الريحانة .

١١ ـ الفصول القصار ، اشار اليها ايضاً فى الريحانة .

١٢ ـ الشهب السيارة ، مشار اليها فى الريحانة .

١٣ ـ قلائد النحور من جواهر البحور . فى بحور الشعر ، ومعه رسالتان : «جنة الولدان» و «الكنس الجوارى» .

١٤ ـ ديوان شعر مخطوط ، نسخة منه فى الخزانة التيمورية ، ونسخة اخرى فى « كوبنهاجن » .

١٥ ـ قصائد مختلفة ، مخطوط فى برلين ودار الكتب المصرية .

١٦ ـ «شفاء الغليل فيما فى ألفاظ المغرب والدخيل» ، وهو المعجم الذى جمع فيه ما ذكره العلماء قبله وزاد عليه .

وصدر الكتاب بمقدمة فى التعريب وفصل صغير فى «تغيير المعرب وأبداله» ، وباب من ست صفحات فى أطراد الفارسى وابداله .

وباختصار ، نستطيع القول ان طبيعة عمل المؤلف فى كتاب «الشفاء» تتحرى فى الكلام العربى الامور التالية :

١ ـ الألفاظ المعربة .

٢ ـ الألفاظ المولدة .

٣ ـ الصيغ اللغوية ذات الاستعمال الغريب .

٤ ـ التراكيب القليلة الاستعمال التى يرى فى ذكرها فائدة لغوية .

٥ ـ اللطائف الأدبية المتنوعة .

وبالاضافة الى ذلك ، كتب لنا مقدمة مختصرة فى المعرب ، حوت اهم اراء العلماء والشيوخ فى هذا الموضوع ، مثل ابى منصور الجواليقى (٥) وابى عبيدة معمر بن المثنى ، والجاحظ وسيبويه، خلص منها الى القول بأن ما عربه القدماء الذين يحتج بالفاظهم هو معرب ، لأن العرب القدماء حين عربوا الاسم الاعجمى تفوهوا به على منهاجهم ، اما ما عربه المتأخرون فهو مولد لانه لا يحتج بكلامهم .

وانتقد صاحب «القاموس المحيط» لأنه يأخذ ما عربه المتأخرون من غير تنبيه .

وفى مقدمة الكتاب ايضاً عرض الخفاجى للحديث عن تغيير المعرب وابداله، اذ قال: ان العرب كانوا يبدلون حرفاً باخر فى الكلمة الاعجمية المعربة، ويغيرون حركته ويسكنونه ويحركونه ، وينقصون فى ذلك ويزيدون (٦) .

واستشهد لذلك برأى سيبويه الذى يقول انهم يغيرون من الحروف ما ليس من حروفهم البتة وربما الحقوه بكلامهم ، مثل درهم الحقوه بهجرع ، وربما غيروا من حاله فى الاعجمية مع الحاقهم بالعربية غير الحروف العربية(٧).

أما ما يلفت النظر فى كتاب «الشفاء» ويسترعى الانتباه والاهتمام ، فهو تقصى الخفاجى للالفاظ المولدة ، ضمن باب التحرى عن الدخيل ، وعثوره على مادة هائلة من هذه الالفاظ المولدة استخدمها الكتاب والشعراء المحدثون الذين لا يحتج بلغتهم ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : الشاعر محمد بن حسن النواجى (ت: ٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م) وابن عنين الدمشقى (ت : ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) وصفى الدين الحلى (ت: ٧٥٠هـ/١٣٤٩م) وابراهيم بن

عبد الله القيراطي (ت:٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) وابن دانيال الخزاعي الموصلي (ت: ٧١٠هـ / ١٣١٠م) وابن النبيه المصري (ت: ٦١٩ هـ/ ١٢٢٢م) وابن خميس التلمساني (ت : ٧٠٨هـ / ١٣٠٩ م) وابن المعمار البغدادي (ت : ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) وابن ابى حجلة التلمساني (ت : ٧٧٦هـ / ١٣٧٥م) والقاضي ابن الوردي (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) وغيرهم من شعراء القرون السابع والثامن والتاسع وحتى العاشر للهجرة .

وبذل الخفاجي جهداً كبيراً أيضاً فى رد معظم الالفاظ المعربة او المولدة الى أصولها الاعجمية . فهو يشير الى ما أخذه العرب القدماء والمحدثون على السواء من الالفاظ الفارسية واليونانية والسريانية والنبطية والحبشية والقبطية والهندية وأدخلوها الى لغتهم العربية ، مع تفريقه بين الألفاظ المعربة والمولدة وتنبيهه الى ما وقع فيه الشيوخ من الخلط بين المعرب والمولد .

راجع:

١ ـ خلاصة الأثر فى اعيان القرن الحادى عشر لمحمد المحبى : ١/ ٣٣١ دار صادر ـ بيروت .

٢ ـ السلافة لابن معصوم : ١/ ٥٨٨ .

٣ ـ مخطوط ديوان الشهاب الخفاجي موجود فى مكتبة الأزهر برقم ٥٠٥ خصوصية أدب .

٤ ـ راجع مقدمة محمد عبد المنعم الخفاجى لكتاب «شفاء الغليل» طبعة ١٩٥٢ بمصر ـ وترجم له أيضا فى الجزء التاسع من كتاب « بنو خفاجة » وفى كتابه الأزهر» .

٥ ـ المعرب من الكلام الاعجمى للجواليقى : ص١٠٧ .

٦ ـ لسان العرب : مادة بخت : ١/ ٩ .

٧ ـ شفاء الغليل : مادة سطل .

رسائل جامعية عن أعلام من الخفاجيين

١ - قدمت الى جامعة مدريد عام ١٩٥٥ رسالة دكتوراه من الباحث السيد مصطفى غازى عن : ابن خفاجة حياته وأدبه .

٢ - وعن الأمير ابن سنان الخفاجى قدمت الرسائل الآتية ، وهى :

أ - ابن سنان الخفاجى وكتابه سر الفصاحة لجامعة بغداد عام ١٩٧٥ رسالة ماجستير - مقدمة من سليم الأنصارى .

ب - ابن سنان وجهوده البلاغية - رسالة دكتوراه - كلية اللغة العربية بالأزهر - الدكتور عبد الحميد العبيسى ١٩٧٥ .

جـ - ابن سنان الخفاجى ناقدا وشاعرا - رسالة دكتوراه - جامعة القديس يوسف - بيروت - من على مهدى زيتون .

د - ابن سنان الخفاجى وجهوده فى البلاغة والنقد - رسالة ماجستير - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر - مقدمة من نزيه فرج .

هـ - قدمت رسالة الى جامعة الامام فى الرياض عن البلاغة فى «سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى» من الباحث درويش الجندى ، وقد منح عليها درجة الماجستير .

٣ - نوقشت رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث بخيت احمد محمد بخيت فى كلية اللغة العربية باسيوط مقدمة من الباحث المذكور فى شهر مايو ١٩٩٢ وموضوعها : تحقيق ديوان الشهاب الخفاجى ، وكانت لجنة المناقشة مؤلفة من الدكاترة محمد عبد المنعم خفاجى وزهران محمد جبر وعبد الصبور ضيف محمد.

٤ - قدمت رسالة لجامعة الجزائر للحصول على دبلوم الدراسات المعمقة من الباحث منصور الزاوى عن «شهاب الدين الخفاجى - حياته وآثاره».

٥ - قدمت ثلاث رسائل الى جامعة الازهر عن الدكتور خفاجى : شاعرا، وأديبا ، وناقدا وبلاغيا .

خفاجيون معاصرون

١ ـ محمد منير الروملي الخفاجي ـ من حلب ـ موجه لغة عربية بصنعاء بعث لى فى ١٧/ ٤/ ١٩٩٠ رسالة يقول فيها :

إنى أفتخر دائما بالعم الذى لم أراه ويدفعنى شوقى الى زيارتك فى الصيف ان شاء اله ـ تحياتى وعائلتنا وأقاربنا فى دير الزور والبوكمال ومسكنة والرقة وحلب ، والله يحفظكم .

٢ ـ الاستاذ خليل الشهاب الخفاجى حلب ـ الخالدية

ش صلاح الدين بجوار مساكن التأمينات الاجتماعية .

بعث بتحياته وتحيات أسرته فى رسالة بتاريخ ١٠/ ١/ ١٩٧٧ .

٣ ـ الاستاذ المهندس سعيد خفاجى بمصلحة التليفونات بالقاهرة ، وله نشيد بعنوان «احنا الخفاجية» ، والنشيد طويل وفى غاية البلاغة .

٤ ـ الدكتور المرحوم أنور عبد الحليم خفاجى ـ العميد الأسبق لكلية الهندسة بجامعة القاهرة .

٥ ـ الدكتور المرحوم صقر خفاجة العميد الأسبق لكلية الآداب بجامعة القاهرة .

٦ ـ المرحوم الشيخ مصطفى خفاجى ـ رئيس قسم الشريعة الإسلامية ـ الأسبق بكلية الحقوق بجامعة الإسكندرية .

٧ ـ الأستاذ جلال خفاجى المحامى فى الفيوم .

٨ ـ المرحوم عبد السلام خفاجى محافظ الشرقية الأسبق .

٩ ـ عباس الخفاجى ـ ود/ طالب الخفاجى ـ بغداد .

١٠ ـ الشيخ فخرى السماوى الخفاجى عميد خفاجة فى الرازنجية ـ العراق .

الشيخ عبد المنعم عبد المنعم خفاجى

١٨٧٨ - ١٩٣٦

- ١ -

هو عبد المنعم بن عبد المنعم بن سليمان بن حسين بن مصطفى بن أحمد الخفاجي .

تلقى تعليمه الأولى على يد شيخ الكتاب فى القرية وتعلم مبادىء القراءة والكتابة والحساب ، وحفظ القرآن الكريم ، وحضر بعض سنوات فى المعهد الاحمدى ثم فى الأزهر الشريف ، ولم يستمر فى المشوار إلى نهايته ، وعاد إلى القرية ، حيث كان مجمع أماناتها ، وموضع أسرارها ، والقائم بشئونها ، وحفظ القرآن الكريم ، ونال الإعفاء من الجندية عام ١٨٩٨ لأنه من أهل العلم . . ووثق فيه أصحاب الدوائر الزراعية الكبرى فاختاره منصور يوسف باشا من أعيان الإسكندرية رئيسا لدائرته الزراعية فى المتوه وجالية وكفر تلبانة . . وصار يقسم وقته بين تلبانة وهذه القرى من حولها ، ووكل شئون أرضه الزراعية إلى رجل سودانى فارع كان يقيم فى أسرتنا ، ويقوم بأعمالها . وكان اسمه مبروك السيد ، فكان هو الذى يتولى عنه شئون الزراعة ومصاريفها وغلتها وبيع ما يفيض عن حاجاتها ، من قطن وخلافه . وكان أمينا غاية الأمانة ، وكان هو وزوجته وابنه كأحد أبناء أسرتنا .

وفى أزمات قريتنا تلبانة مع ملاك دائرتها كان هو الذى يتولى المفاوضة معهم باسم البلدة ، ويطالب بحقوقهم ، وفى عام ١٩٣٠ تدهور سعر القطن، وكان يعتمد عليه في مصاريفه الكثيرة وكرمه الزائد وسخائه الكبير ، كما كان قطن الأسرة كلها هو الذى يقوم ببيعه ، فأصابته أزمة مالية شديدة ، وتراكمت عليه ديون كثيرة لازمته حتى وفاته فى أكتوبر ١٩٣٦ .

وقد عاش فى ظلال مجد أسرته فى تلبانة بين أعمامه وأبناء أعمامه : الحاج عصر خفاجى شيخ تلبانة وعين أعيانها ، والشيخ نافع خفاجى العالم الكبير ، والحاج الغندور أبو زيد خفاجى ، والحاج البسيونى خفاجى ، والحاج العدل خفاجى ، وسواهم .

- ٢ -

وكان تقيا صالحا عابدا ، لا ينام حتى يصلى الفجر ، ويقضى ليله فى التهجد وتلاوة القرآن الكريم ، وكان يبر أهله ويشاركهم سراءهم وضراءهم ، ويزور القريب منهم والبعيد فى شتى المناسبات . وكذلك كانت زوجته «شوق نافع خفاجى» رحمهما الله جميعا ، كانت تعطى ما عندها للفقراء والمساكين واليتامى والأرامل ، ولو بقيت بلا طعام ولا مال . وكان أبى يذهب فى صغره مع والده إلى القرى المجاورة ليزور أقارب لنا فيها ويغدق عليهم من المال والهدايا . . وتوفيت زوجته« شوق » بعده بعشرين عاما (فى مايو ١٩٥٦) .

- ٣ -

وكانت صلة جدى بكثير من الباشوات كبيرة ، وصلته الوثقى بالسيد محمد الغنيمى التفتازانى (المتوفى فى مارس ١٩٣٦ قبل جدى بشهور) حيث كانت والدة السيد من أسرتنا ، كما كانت صلته كذلك بمحمد بك بدوى والد الدكتور عبد الحميد بدوى باشا متينة وكان كذلك متزوجا من أسرتنا ، وكانت له تجارة أخشاب كبيرة فى طلخا والمنصورة . . رحمهم الله جميعا . .

المرحوم أحمد عبد المنعم خفاجى

١٩٠٨ - ١٩٨٣

- ١ -

هو الإبن الأكبر لجدى ، وعمدة قرية تلبانة سابقا ، وقد خلفه فى العمودية إبنه الحاج المهندس أحمد أحمد عبد المنعم خفاجى .

تعلم فى الكتاب والمدارس ، وأقام بعد ذلك فى القرية يساعد والده فى أعماله ، واقترن بابنة عمه الحاج عصر خفاجى ، وهى الحاجة نعيمة عصر خفاجى التى عاشت معه من عام ١٩١٧ حتى وفاتها فى ٢٥ من أبريل عام ١٩٧٨ ، وأنجبت أبناء نابهين منهم المستشار فهمى خفاجى والمحامى رمضان خفاجى والمستشار المرحوم الطاهرى خفاجى والعمدة الحالى لتلبانة الحاج أحمد خفاجى .

- ٢ -

وعمل موظفا محاسبا فى وزارة الأوقاف من عام ١٩٢٧ حتى بلغ سن المعاش عام ١٩٦٨ ، فتولى عمودية تلبانة حتى وفاته فى الخامس والعشرين من جمادى الأولى عام ١٤٠٣ هـ - العاشر من مارس ١٩٨٣ ، وورى جسده الطاهر التراب فى جنازة مهيبة ، مبكيا عليه من الجميع ، لما عرف عنه من الكرم وعمل المعروف ومساعدة الناس ، والخلق الحميد .

فقيد القضاء والمحاماه

المستشار محمود الطاهرى خفاجى

١٩٢٢ ـ ١٩٨٩

ـ ١ ـ

لقد فقدناه وهو فى قمة عطائه ووفائه لوطنه ، وقيامه بمسئولياته نحو مجتمعه.

فقدناه شامخ الرأس مرفوع الهامة ، قوى الإيمان بالله وبوطنه وأمته ، عزيز النفس فى كل مواقفه ، شديد الشعور بواجبه نحو كل مظلوم ، وكل صاحب حق ينشد العون من أجل الوصول إلى حقه .

وكان المستشار محمود الطاهرى خفاجى قمة عالية فى الالتزام بالأمانة وبالوفاء وبالعدالة وبالعطاء وبكل القيم النبيلة فى الحياة .

ولد فى موطن أسرته فى الدقهلية «تلبانة» فى فبراير ١٩٢٢ م ، ووالده أحمد عبد المنعم خفاجى ، من وجهاء الدقهلية وأعيانها وكان عمدة «تلبانة» من أعمال مركز المنصورة .

حصل على الثانوية عام ١٩٤٢ من مدرسة المنصورة الثانوية ، وعلى ليسانس الحقوق من جامعة الاسكندرية عام ١٩٤٦ .

وعمل عام ١٩٥١ فى النيابة العامة بدرجة وكيل نيابة ، وتدرج فى الوظائف إلى أن عين قاضيا عام ١٩٥٤ ، وفى سلك القضاء صعد من قاض إلى رئيس للمحاكم الابتدائية ، فمستشار عام ١٩٧٣ ، فرئيس استئناف للقاهرة،فالمنصورة ، فالاسكندرية ، فرئيس محاكم أمن الدولة ، إلى أن أحيل إلى المعاش عام ١٩٨٢ م .

مارس المحاماه بعد إحالته إلى المعاش حتى وافته المنية فى الثامن عشر من نوفمبر عام ١٩٨٩ .

- ٢ -

كان متزوجا من كريمة المرحوم السيد بك وهبة ، ورزق بأربعة أبناء : أكبرهم الدكتور الصيدلى طارق خفاجى . ثم الطيار محمد خفاجى ، والمحاسبة عبير ، وراندا . . وهو شقيق كل من الأساتذة محمد لطفى خفاجى وكيل وزارة التموين السابق ، والمستشار فهمى خفاجى المستشار بمحكمة استئناف القاهرة ، والمهندس المرحوم صلاح خفاجى ، والأستاذ رمضان خفاجى المحامى ، وأحمد خفاجى عمدة تلبانة الحالى .

- ٣ -

لقد كان المستشار محمود الطاهرى خفاجى علما من أعلام القضاء والقانون والتشريع ، وكان وطنيا شديد الحب لوطنه والتضحية من أجله .

وكان حريصا على إعطاء كل مظلوم حقه ، وعلى إنصاف كل من ناله حيف ، ونظر قضايا التعذيب المتهم فيها بعض ضباط الشرطة فى محكمة جنايات طنطا وأدانهم .

- ٤ -

لقد فقدته مصر والأمة العربية حقا ، وقل أن يسد الفراغ الذى تركه ، رحمه الله رحمة سابغة ، وأجزل له الثواب بمقدار ما صنع من مثل عليا فى الحياة ، وما أدى لأمته من تضحيات غاليات .

المهندس الكبير أحمد حافظ خفاجة

يقوم المهندس الكبير أحمد حافظ خفاجة بأعمال كبيرة ليس فى قريته العدوة بمحافظة المنيا وحدها ، ولا فى محافظة المنيا نفسها وحدها ، بل تشمل خدماته القومية مصر بأسرها .

فمصانعه فى المنيا يعمل بها الكثير من الموظفين والعمال ، وهى تؤدى للوطن خدمات جليلة

ومؤسسة مجموعة شركات نفرتيتى التى يرأس مجلس إدارتها تقوم بأعمال وطنية جليلة فى مجال الصناعة والاقتصاد والسياحة وغيرها .

ويتبرع المهندس أحمد حافظ خفاجة للمشروعات والأعمال القومية والاجتماعية بمبالغ طائلة على الدوام .

وفى رمضان يقيم العديد من موائد الرحمن فى أماكن كثيرة .

وهو يجتمع دائما بموظفيه للتشاور وتبادل الآراء فى كل يوم ، رغبة فى الوصول بالعمل الوطنى إلى أعلى درجات الاتقان والشعور بالمسئولية .

ورعايته للأطفال والمسنين والمرضى فى دوائر نشاطات عمله تفوق الوصف .. ويمثل المهندس خفاجة ، دائما رجل الأعمال الناجح ، والوطنى المتفانى فى خدمة بلاده ، والانسان العميق الاحساس بمسئوليته نحو أبناء وطنه، والمصرى الأصيل الذى نشأ عل حب مصر والإخلاص فى عمله من أجلها ، وبذل كل ما فى وسعه من أجل سعادة المجتمع .. وليس هذا بغريب على أمثاله ممن نشأوا فى ريف مصر الطيب ، وبذلوا العديد من وجوه نشاطاتهم فى مدنها الحافلة ، وأخلصوا وجههم لله فى سبيل سعادة المجتمع وناسه الطيبين.

والتفانى فى العمل واتقانه ، والاخلاص لله والوطن فى كل لحظة من لحظات الحياة ، والشعور بالمسئولية نحو الآخرين .. كل ذلك وغيره هو من أهم مقومات نجاح الانسان ، هذا إلى مراقبة الله فى السر والعلن وصفاء النية وطهارة القلب فى كل الأعمال ما ظهر منها وما بطن ، وأداء حق الله وحق الناس.

وهو كما قال فيه شاعر كبير :

جئت للنبل وللمكرمات ∴ جئتَ للدنيا لتسعدها
(أحمد) ينبنى لأمته ∴ فى رؤى أحلامه غدها
جاء والمجد على قدر ∴ وسط الساحة أو حدَها
هو مصرى ، إذنْ مصر أعـ ∴ ـطته فى العلياء موعدها
هو فى العقدة حلالُها ∴ ويرى فيها مهندها
جاء يحكى حاتما كرما ∴ أجود الناس وأمجدها
ومساعيه غنائى وشعـ ∴ ـرى على الدهر يخلدها
(احمد) أهديك هذى الأنا ∴ شيد والأجيال تنشدها
هى باقات من الشعر أتت ∴ هى الحانى أرددها
أنت أعطيت العلا موعدا ∴ والعلا أعطتك موعدها
ما أنا محص مكارمكم ∴ إن أحاول أن اعددها
وطنى بين شعوب الورى ∴ رائد الدنيا وسيدها
هو أولاك محبته ∴ ثقة فيك يجددها
فلك الخير وتلقى المنى ∴ ومن الأيام أسعدها

المهندس محمد لطفى خفاجى

ولد فى تلبانة مركز المنصوره فى مارس ١٩١٩ ، وتلقى تعليمه فى مدرسة المنصورة الابتدائية فمدرسة المنصورة الثانوية ، وكان استاذه فيها فى اللغه العربية شاعر الاهرام المرحوم الاستاذ محمد عبد الغنى حسن .

وقد شغل الاستاذ محمد لطفى خفاجى منذ تخرجه فى كليه الزراعه بجامعه القاهرة عام ١٩٤٢ عدة مناصب حكومية رئيسية الى أن صار وكيلا لوزارة التموين .

وكان فى كل المناصب التى تولاها مثالا رفيعا للنزاهة والعفه والطهارة ومراقبة الله وإرضاء الضمير وأداء الحقوق لكل صاحب حق ، مع القيام بكل واجبات وظائفه بكفاءة ونشاط ومثابرة لاحد لها .

وقد صاهر أسرة كريمة هى أسرة اللواء عبد الرازق أحمد حماد وأنجب ابناء مرموقين : منهم العقيد سامى خفاجى والدكتور عادل خفاجى والدكتورة سلوى خفاجى والدكتورة سهير خفاجى .

والأستاذ لطفى خفاجى ابن الحاج أحمد خفاجى عمدة تلبانة الاسبق وشقيق المستشارين محمود الطاهرى خفاجى وفهمى خفاجى ورمضان خفاجى المحامى .

ويعد ثانى عمداء أسرة خفاجى بتلبانة مركز المنصورة بعد المستشار الدكتور رفعت خفاجى .

وهو مثال رفيع فى التدين وسمو الخلق، وعفة النفس وطهارة الروح، ومثل طيب كريم لجيل كبير من أجيال ابناء المنصورة الذين تخرجوا من المدرسة الثانوية الحكومية بالمنصورة، ونالوا قسطا كبيرا من النجاح فى حياتهم العملية.

المستشار الدكتور: رفعت خفاجى

المستشار خفاجى نائب رئيس محكمة النقض سابقا ، يعد واحداً من أكفأ قضاتنا علما وخبرة .

• ولد فى تلبانة مركز المنصورة عام ١٩٢٦ .

• حصل على ليسانس حقوق القاهرة سنة ١٩٤٦ بدرجة جيد جدا ، ومن فرنسا على دبلومات الدراسات العليا فى القانون العام وفى القانون الخاص وفى الاقتصاد السياسى ، وعلى دكتوراه الدولة فى القانون «جرائم الرشوة فى التشريع المصرى والقانون المقارن» ، وعلى دكتوراه الدولة فى الاقتصاد السياسى «الرقابة على الصرف فى النظام الاقتصادى» .

• له ٩٦ كتابا وبحثا منشورا باللغة العربية و٣٨ كتابا وبحثا منشورا باللغة الفرنسية و٣ أبحاث بالانجليزية فى شتى فروع القانون والاقتصاد .

• ندب لمدةسنتين مديرا لمعهد القضاة وعين مديرا لمركز القاهرة للتحكيم التجارى الدولى .

• شغل منصب مدير إدارة التشريع بوزارة العدل فى أكتوبر ٧٦ وحتى آخر ١٩٧٧ .. ثم منصب رئيس النيابة الإدارية عام ١٩٨٢ .

• وإلى جانب الجامعات المصرية باشر التدريس فى جامعات السودان ولبنان والعراق وليبيا .

• انتخب فى أبريل ١٩٧٧ مقررا للجنة الفنيةالمشتركة للشئون القانونية لتوحيد القوانين بين مصر والسودان ، وتردد على السودان مرات عديدة .

• نظم دورة تدريبيةللقضاة السودانيين فى الخرطوم عام ١٩٧٩ وألقى فيها

محاضرات تتعلق بقيم وتقاليد السلطة القضائية .

• تولى رئـاسة الوفد المصرى الـذى سافر إلى باريس فـى أبريل ١٩٨١ لاجراء مفاوضات مع الحكومة الفرنسية بشأن التعاون القضائي بين الدولتين .

• مثل مصر فى مؤتمر الخبراء للدول الناطـقة بالفرنسية بباريس فى مارس ١٩٨٢لبحث ودراسة مـوضوع تدريب القضاة ونظـام الحاسب الآلى فى إدارة العدالة وانتخب نائبا لرئيس المؤتمر وقدم بحثا فى تدريب القضاة .

• ومن إنتاجه العلمى :

- مؤلفات باللغة العربية ٢١ مؤلفا .

- بحوث فى أصول القانون - ٥٢ بحثا .

- بحوث فى القانون الإدارى - ١٢ بحثا .

- بحوث فى القانون الدولى العام - بحث واحد .

بحوث فى القانون المدنى - خمس بحوث .

بحوث فى القانون التجارى - ست بحوث .

بحوث فى قانون العمل - بحث .

بحوث فى قانون المرافعات - ٦ بحوث .

بحوث فى القانون الدولى الخاص - بحث .

بحوث فى الاقتصاد السياسى - بحث .

الأستاذ الدكتور مدحت خفاجى(1)

الدكتور مدحت خفاجى من مواليد ٦ مارس ١٩٤٣ . ويشغل حاليا أستاذ الجراحة بالمعهد القومى للأورام التابع لجامعة القاهرة منذ عام ١٩٨٠ ، وحصل على جائزة الدولة التشجيعية للعلوم الطبية عام ١٩٨٠ ووسام العلوم والفنون فى نفس العام لابتكاره عملية جديدة لاستبدال المثانة المصابة بالسرطان بمثانة من أجزاء من الأمعاء والقولون بحيث يعيش المريض بطريقة طبيعية .

وكان أول مصرى يقوم بزراعة كبد بالكامل عام ١٩٩٢ فى مصر .

وقضى ثلاثة أعوام فى العمل فى أكبر مركز للأورام فى العالم فى نيويورك (مركز ميموريال سلون كترنج للسرطان) ، وعاما آخر فى إحدى المستشفيات الكبرى لمدينة أتلانتا فى أمريكا.

وعندما عاد من الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٥ عاش فى محراب الطب والعلم ، وكتب العديد من المقالات فى جريدة الوفد وغيرها .

انضم لحزب الوفد فى عام ١٩٧٧. وصار عضوا فى الهيئة العليا للحزب .

وله مواقفه الوطنية الحافلة .

زار كثيرا من دول الشرق الاوسط واوربا وأمريكا .

وشهرته الطبية فى أنحاء العالم معروفة فى جميع الأوساط .

(1) ٢ مايو / ١٩٩٥ جريدة الوفد .

المستشار فهمى خفاجى

- ١ -

درس المرحلة الابتدائية بالمدرسة المحمدية الابتدائية بميدان الحلمية الجديدة بالقاهرة ، حيث حصل على الابتدائية عام ١٩٤٨ ، ثم على الثانوية من مدرسة القبة الثانوية عام ١٩٥٢ .

والتحق بكلية الحقوق بجامعة القاهرة فحصل منها على الليسانس عام ١٩٥٧ ، وحصل على دبلوم القانون المدنى عام ١٩٥٩ .

عين وكيلا للنيابة ، وتدرج فى المناصب القضائية الى أن رقى مستشارا ، ثم نائب رئيس محكمة استئناف القاهرة ، ورئيسا لمحكمة النيابات وأمن الدولة العليا ، بالاضافة الى عمله الجامعى كأستاذ فى كلية الحقوق بجامعة الزقازيق ، وفى كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر ، ومعهد الدراسات الاسلامية العالى.

- ٢ -

ومن أشهر القضايا التى أصدر فيها أحكاما هزت الدوائر القضائية والاجتماعية والفكرية قضية الخمور [١] وتناولها فى شركات الطيران حيث فصل فيها بمنع تناول وتداول الخمور فى رحلات الطيران أثناء طيران الطائرات المصرية فى جميع بقاع العالم لمخالفة ذلك للشريعة الاسلامية ولجميع الشرائع ، وللأضرار المادية والأدبية والأمنية التى تنجم عن تناولها .

وبعد بلوغه السن القانونية لا يزال المستشار فهمى خفاجى يوالى أعماله الفكرية والأدبية والقانونية بروح المصرى الوطنى ، والفقيه القانونى ، وبعبقرية الانسان المتمثل لحضارة وطنه العريق الخالد ، ولأصالة أسرته الضاربة فى

---

(١) نص الحكم منشور فى كتاب «مواكب الحياة» الجزء الثالث ص١٠٦٧ وما بعدها - تأليف د/ الخفاجى .

أعماق التاريخ .

ـ ٣ ـ

والمستشار فهمى خفاجى محل تقدير كبار رجال الدولة والقضاء والدين، وقد نال شهادات تقدير وعدة أوسمةمن مختلف الهيئات القضائية والاجتماعية والجامعية والأدبية .

وهو متزوج وله بنت وابن ، فالبنت (غادة خفاجى) تحمل شهادة بكالوريوس تجارة من جامعة عين شمس عام ١٩٩٥ ، والابن (أحمد فهمى خفاجى) تخرجهن كلية الشرطة وهو الآن ضابط بالأمن المركزى .

والمستشار فهمى خفاجى هو المستشار القانونى لرابطة الأدب الحديث ولصحيفتها «الحضارة» ، وهو نائب رئيس جماعة أبو للو الجديدة التى يرأسها الدكتور الناقد الكبير عبد العزيز شرف ، وعضو كذلك فى كثير من المجالس والجمعيات القانونية والاجتماعية .

ـ ٤ ـ

وله العديد من البحوث والدراسات القانونية التى أشاد بها أساتذة القانون فى جامعاتنا وكبار رجال القضاء والمستشارين ونشر مقالات وبحوثا كثيرة فى مختلف المجلات والصحف ، وبخاصة صحيفة «الرأى العام».

ـ ٥ ـ

ونذكر أخيرا أن المستشار فهمى خفاجى هو :

١ ـ من مواليد يناير ١٩٣٥ ـ بالمنصورة .

٢ ـ حاصل على ليسانس حقوق عام ١٩٥٧ من جامعة القاهرة .

٣ ـ حاصل على دبلوم فى القانون المدنى من جامعة القاهرة .

٤ ـ عمل وكيل نيابة وتدرج فى المناصب القضائية ، الى أن رقى نائبا لرئيس محكمة استئناف القاهرة بدرجة مستشار ، ورئيسا لمحكمة الجنايات وأمن الدولة العليا . . وهذا بالاضافة الى عمله استاذا بكلية الحقوق ـ جامعة الزقازيق ، واستاذا بكلية الشريعة والقانون بجامعة الازهر للقانون المدنى .

٥ ـ وقد نال شهادات تقدير وعدة أوسمة من مختلف الهيئات القضائية والادبية . . والاجتماعية ، فى أعوام متعددة .

٦ ـ وأشهر قضاياه التى أصدر فيها أحكاما هزت الدوائر القضائية والاجتماعية والفكرية «قضية الخمور وتداولها فى شركات الطيران» ، حيث اصدر حكما بمنع هذا التداول فى رحلات الطيران ، لمخالفته للشرائع السماوية وبخاصة الشريعة الاسلامية والاضرار التى تنجم عن هذا التداول وتعريض سلامة الركاب على خطوط الطيران لاخطار شتى .

٧ ـ ولا يزال المستشار فهمى خفاجى يوالى أعماله القضائية والفكرية والأدبية .

اللواء فاروق خفاجى

- ١ -

شغل اللواء فاروق خفاجى مناصب عسكرية كبيرة منذ تخرجه من الكلية الحربية عام ١٩٤٨، وهو فى سن العشرين من عمره ، وكان مع المصرى الوطنى الخالد أنور السادات فى سلاح الإشارة ، حيث كان نائبا له فى حرب اليمن .

ومنذ عام ١٩٨١ ترك الخدمة العسكرية إلى العمل فى المجال الإدارى الحكومى وتفرغ بعد ذلك لإدارة شئونه الخاصة .

وهو مثال رفيع فى الخلق والتدين والاستقامة والطهارة ، وعزة النفس.

وقد ولد فى تلبانة مركز المنصورة فى عام ١٩٢٨ ، ووالده الحاج محمد عصر خفاجى العمدة الأسبق لتلبانة ، وجده الحاج عصر خفاجى أكبر وجهاء مديرية الدقهلية الذى عاش ستة وسبعين عاما (١٨٥٥ - ١٩٣١) قضاها فى رخاء ويسر لا حد لهما ، وكان عمه المرحوم المستشار محمود عصر خفاجى من رجال القانون البارزين ، وشقيقه المستشار الدكتور رفعت خفاجى القانونى العالمى المشهور ، والجراح العالمى الدكتور مدحت خفاجى .. ووالدته الحاجة منيرة رمزى من أولى المتخرجات فى المدرسة السنية وكان والدها عمدة المقاطعة مركز السمبلاوين ، وعمها إسماعيل رمزى باشا أحد أقطاب الوفد المرموقين ، واللواء فاروق خفاجى يمتاز بصدق الكلمة ، وأمانة الخلق ، وعفة النفس وطهارة اليد ، والوفاء لكل من تربطه بهم صلة ، ومن أبناء عمومته الدكتور محمد محمود خفاجى ، والمهندس عادل محمود خفاجى .

- ٢ -

وللواء فاروق خفاجى مواقف وطنية مشرفة ، فى الدفاع عن الوطن فى

العدوان الثلاثى ، وفى حرب الاستنزاف ، وفى شتى المواقف الصعبة الحاسمة فى تاريخنا المعاصر.

واللواء فاروق خفاجى صاحب سجل حافل فى العسكرية المصرية المعاصرة فى خلال ثلاثين عاما [١٩٤٩ ـ ١٩٨٠] هى من أهم فترات التاريخ العسكرى المصرى المعاصر ، ومن أكثرها إثارة وكفاحا ونضالا وعطاء صادقاً .

ولدىَّ دقائق كثيرة عن أعماله العسكرية الفائقة التى شهد له بها جميع القادة العسكرية والسياسين .

وبحسبه أنه مهد لانتصار ١٩٧٣ بتجهيز سلاح الإشارة للعمل العسكرى الحاسم ولاعداد الاتصالات القوية السريعة البعيدة عن مخابرات العدو الاسرائيلى ، وكانت هذه الخطوة مقدمة للنصر ، وأبطل بذلك عمل الخبراء الروس فى كشف أسرار شبكة الاتصالات العسكرية المصرية لاسرائيل وعملائها.

وبذلك أعدَّ اللواء فاروق جهاز الاشارة ومعدات الاتصالات المطلوبة للعملية الحربية القادرة على انتزاع النصر من أيدى العدو الصهيونى .

وفى عام ١٩٦٧ عاد بأجهزة سلاح الاشارة كامله سليمة ـ دون أن يفقد منها شئ ، وذلك بمهارة فائقة ، وكان يقود وحدة الاشارة للمنطقة الشرقية كلها .

وبعد حرب ١٩٦٧ وحين اشترك بعبقريته فى تكوين القوة الرابعة فى الجيش (قوة الدفاع الجوى)أنشا لها وحدة إشارة تخدم هذه القيادة ، وطلب ما يلزم لها من معدات حديثة وأعاد تنظيم وحدات الاشارة بالقوات المسلحة الخاصة بالمنطقة الشرقية على ستة محاور من السويس حتى بورسعيد، والمعدات

الجديدة التى سلـح به' سلاح الاشارة كان لا يمكن بدونهـا صد اى هجوم على القوات المـصرية المسلحـة ، لأن معدات مراكز الاشارة الحـديثة المتحركـة على مستوى الـقيادة العامة والجيـش والتشكيلات المـيدانية هى أهم عمـل عسكرى استراتـيجى فى المعركـة ، وهذه المراكز للعـمليات الهجـومية تغطى المـواجهة بالكامل.

- ٣ -

هذا واللواء فاروق من مواليد تلبانة فى ١٣ يناير سنة ١٩٢٨ .

والده محمـد عصر خفاجى عـمدة تلبانة مـركز المنصوره سابـقا ووالدته الحاجة منـيرة البغدادى كـساب كـريمة عمدة المقاطعـة مركز السنبلاويـن حفيدة الاميـرالاى عثمـان بك رمـزى ابن عمـومة عائـلة شيـرين وعـائلة الخـديوى اسماعيل: والدته حصلت على شهادة الابتدائية عام ١٩١٤ .

وهو متزوج وله ولد وابـنتان ، الولد مهندس مدنى والابنـتان متزوجتان احداهما حصلت على ليسانس فى الترجمة الفورية من جامعة الازهر والاخرى بكالوريوس طب بيطرى من جامعة القاهرة .

والمؤهلات العلمية التى حصل عليها اللواء هى :

١ ـ بكالوريوس العلوم العسكرية عام ١٩٤٩ من الكلية الحربية .

٢ ـ ماجيـستير العلوم العـسكرية عام ١٩٦٣ الدورة ١٩ من كـلية اركان الحرب المصرية .

٣ ـ درجة خريج اكاديمية ناصر العسكرية العليا (كلية الحرب العليا) عام ١٩٧٦ الدورة الثالثة .

أما عن الحروب التى اشترك فيها فهى :

أ ـ حرب العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ .

ب ـ حرب اليمن عام ١٩٦٤ .

جـ ـ حرب ١٩٦٧ .

د ـ حرب ١٩٧٣ .

ويحمل اللواء الانواط والنياشين الآتية :

نجمة فلسطين / ميدالية محمد على / ميدالية التحرير / نوط الجلاء / نوط الاستقلال / نوط النصر / وسام الجمهورية (الوحدة) / نوط الجيش / العيد العاشر للثورة / نوط الواجب من الطبقة الاولى / نوط التدريب من الطبقة الاولى / ميداليه الخدمه الطويلة / القدوة الحسنة من الطبقه الاولى / نوط الجمهورية من الطبقة الاولى / ميداليه ٦ اكتوبر / نوط الخدمة الممتازة.

وقد كان له الشرف فى العمل بالقوات المسلحة المصرية من عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٨٠ معظمها فى التشكيلات الميدانية واشترك اشتراكاً فعليا فى الحروب التى خاضتها قواتنا المسلحة طوال هذه الفترة ونذكر هنا أن اللواء سعد مأمون حين علم بأن اللواء فاروق قد احيل للاستيداع اتصل به فى منزله وعرض عليه أن يعمل معه مستشاراً للاتصالات فرحب واستمر لعدة سنوات ثم عين رئيساً لمدينة سفاجة فرئيسا لمركز ومدينة منوف ، ورئيساً لمركز ومدينة فاقوس حتى احيل الى المعاش . . وننوه هنا أنه عمل فى القوات المسلحه المصرية فى مراكز عدة اهمها مساعداً لرئيس هيئة البحوث العسكرية ، وقائداً لمركز تدريب الاشارة واستاذا بأكاديمية ناصر العسكرية ، ورئيساً لأركان اشارة القوات المسلحة .

رمضان خفاجى المحامى

- ١ -

المستشار رمضان أحمد عبد المنعم خفاجى من أسرة قانونية وقضائية وهو من مواليد ١٩٣٨/١١/٢٤ بتلبانة مركز المنصورة .

تلقى تعليمه الابتدائى بمدارس القاهرة ، ثم أكمل مشوار التعليم الاعدادى والثانوى بمدرسة القبة الثانوية بالقاهرة أيضا .

وحصل على الثانوية العامة ، فالتحق بكلية الحقوق وحصل منها على الليسانس عام ١٩٦٦ .

وعين بوزارة القوى العاملة فى العام نفسه ، وفى عام ١٩٧٧ قدم استقالته من وظيفته وسافر الى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث أقام فيها عامين ، وعاد عام ١٩٧٩ .

وقيد بنقابة المحامين عام ١٩٨٠ ، حيث تدرج قيده بها ، حتى صار محاميا للمرافعة أمام محكمة النقض والمحكمة الدستورية العليا من مارس ١٩٩٠ .

وبفكره القانونى ، واطلاعه الواسع ، وإلمامه بشتى مصادر القانون ، كسب قضايا كثيرة أذاعت شهرته فى الأوساط القانونية والقضائية .

- ٢ -

تزوج من كريمة اللواء محمد صلاح الدين فوزى ، ورزق بثلاثة أبناءهم: كريم ، وشريف ، ويوسف .. والأول ببكالوريوس السياحة والفنادق ، والثانى بكلية العلوم بجامعة الأزهر ، والثالث بالتعليم الثانوى ؛ وقد ورثوا الذكاء والنبوغ عن والدهم وعن الأسرة مما يبشر لهم بمستقبل سعيد .

ورمضان خفاجى هو ابن المرحوم الحاج أحمد خفاجى عمدة تلبانة سابقا

وشقيق الأستاذ محمد لطفى خفاجى وكيل وزارة التموين سابقا ، والمستشار فهمى خفاجى ، والحاج أحمد خفاجى عمدة تلبانة حاليا ـ وعم الدكتور عادل لطفى خفاجى ، والعقيد سامى لطفى خفاجى ، والملازم أحمد فهمى خفاجى، والدكتور محمد أحمد خفاجى ، وابن عم الأستاذ الدكتور المستشار أحمد رفعت خفاجى نابغة القضاء والقانون ، واللواء فاروق خفاجى نائب قائد رئيس الجيش المصرى فى حرب اليمن ، والأستاذ الجامعى الطبيب الدكتور النابغة مدحت خفاجى ، والدكتور محمد محمود عصر خفاجى ، والمهندسين : ماجد خفاجى ، وعادل محمود عصر خفاجى ، وعبد الهادى عثمان خفاجى، والمهندس الطيار عبد المنعم عثمان خفاجى .

ورمضان خفاجى هو كذلك ابن أخت المستشار محمود عصر خفاجى . ومن الأسرة العديد من رجال الدين والفكر والقضاء والقانون والجيش والشرطة والصحافة والأدب .

المهندس ماجد خفاجي

-١-

ماجد محمد عبد المنعم خفاجي - ووالدته الحاجة سارة محمد إبراهيم كراوية (١٩٢٥ - ١٩٨٧) . . . ميلاده في السابع من رمضان ١٣٧٤ هـ - التاسع من يناير ١٩٥٥ في القاهرة في شارع الحبانية بالحلمية الجديدة ، وتم الميلاد في مستشفى فؤاد الأول للولادة (الجلاء الآن) ، وكان هو الوحيد لأبويه بعد وفاة شقيقة له قبل ميلاده بثلاثة أعوام ، وهي وفاء التي ولدت في أغسطس ١٩٥٢ بمستشفى جاردن ستي بالقاهرة، وعاشت ثلاثة شهور توفيت بعدها .

-٢-

تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة الأنصار الابتدائية بالحبانية ثم المدرسة الابتدائية بدرب سعادة ، ونقل إلى المدرسة الابتدائية والاعدادية بمدينة الأندلس بالهرم بعد أن نقل السكن إلى منزل والده بشارع مكة بمدينة حسن محمد بشارع فيصل ، ومنها أخذ الشهادة الابتدائية ، ثم الاعدادية عام ١٩٦٩ ، ثم انتقل إلى التعليم الثانوي فالتحق بالمدرسة السعيدية ، وبعد التحاقه بها بشهر سافر والده معارا إلى الرياض بالسعودية أستاذا في كلية اللغة العربية في نوفمبر من عام ١٩٦٩، وسافرالإبن معه حيث ألحقه بمدرسة اليمامة بالرياض وهي من كبرى مدارس الرياض آنذاك وكانت تعرف بمدرسة الأمراء ، ومنها أخذ الشهادة الثانوية عام ١٩٧٢ .

والتحق بكلية الهندسة بجامعةالقاهرة حيث كان والده قد عاد للقاهرة بعد انتهاء إعارته ، وكان المرحوم أ.د/ أنور خفاجي عميدا لها من قبل . . . ومنها

أخذ البكالوريوس عام ١٩٧٨، فى مجالات الاتصالات .

-٣-

والتحق بعدة شركات فى القاهرة تعمل فى مجال الاتصالات ولا يزال حتى اليوم فى إحدى هذه الشركات بمدينة نصر .

تزوج بالدكتورة هيام محمد السعدى فرهود الأستاذة المساعدة بكلية الطب بجامعة الأزهر ، وهى بنت أ.د/ محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر السابق ، وتم عقد القران فى ١٧ / ١٢ / ١٩٨٤ وتم الزفاف فى الخامس من سبتمبر عام ١٩٨٥ .

وله من الأبناء :

* محمد ماجد ولد عصر يوم الأربعاء ٢٦ من المحرم عام ١٤٠٧ هـ الموافق ١٩٨٦/٩/٣٠م .

* سارة ماجد ـ ميلادها الساعة الثامنة مساء يوم الخميس ٢٧ من رمضان ١٤٠٨ هـ - ١٢ مايو ١٩٨٨ .

* صبا ماجد ـ ميلادها فى ٢٣ من ربيع الثانى ١٤١٠ هـ - ٢٤ من نوفمبر عام ١٩٨٩ م.

* أروى ماجد - ميلادها فى ٢١ من رمضان عام ١٤١٢ هـ - ٢٥ من مارس عام ١٩٩٢ .

-٤-

حصل على درجة الماجستير فى الاتصالات والكمبيوتر من كلية الهندسة بجامعة حلوان عام ١٩٩٥ مع الامتياز .

ويسجل للدكتوراه حاليا فى كلية الهندسة بجامعة عين شمس .

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

هو رئيس مجلس ادارة رابطة الادب الحديث بـالقاهرة ـ والاستاذ بجامعة الازهر ـ كلية اللغة العربية وعميدها الاسبق .

من مواليـد تلبانـة مؤتمر المنصورة فـى ٢٢ يوليو ١٩١٥ ، حصـل على الدكتوراه من جامعة الازهر فى الأدب والنقد عام ١٩٤٦ .

ـ كتبت عنه رسائل جامعية عديدة .

ـ له خمسمائة مـؤلف مطبوع عدا الكتب المؤلفة المخطوطـة التى لم تطبع بعد وتبلغ نحو المائة كتاب .

ـ وحقق عشرات الكتب القديمة وهى مطبوعة .

ـ له تـفسيـر القـرآن الكريم (١٣ جـزءا) ـ وشرح علـى البـخارى (١٠ أجزاء)، وموسوعة ألفاظ القرآن الكريم .

ـ له مائة كتاب عن الاسلام والدراسات الاسلامية .

ـ ومائة كتاب فى دراسات عن الادب العربى وفى النقد الأدبى .

ـ ومائة كتاب فى دراسة الاعلام من الأدباء والعلماء والمفكرين .

ومائة كتاب فى التاريخ واللغة والبلاغة والنحو والصرف .

ومائة كتاب فى الـتصوف ، وفى تاريخ بنى خفاجـة (٢٠ كتابا) ، وفى تاريخ الأزهـر (٥ كتب) ، وفى الـسيرة الذاتيـة له (١٠ كتاب) ، وفى الـشعر (٢٥ كتابا) ، وله عشرون ديوانا شعريا مطـبوعا منها ثلاثة دواوين مخطوطة ، وفى العلوم الانسـانية الأخرى .

- حضر عشرات المؤتمرات فى مصر وفى العالم العربى والاسلامى .

سافر الى سويسرا وقبرص وانجلترا وليبيا والسودان وتونس والجزائر والمغرب والسعودية والعراق والكويت والامارات العربية وباكستان والهند وبروناى وماليزيا وغيرها .

- كتب عنه العديد من المستشرقين دراسات مختلفة .

- صدر عنه وعن ادبه عدة رسائل جامعية ونحو عشرين كتابا مطبوعا .

ومن أخر الكتب المؤلفة عنه كتاب حول القصر المسحور ، وكتاب «الخفاجى أديبا وناقدا» للأديب التونسى رشيد الذوادى ، وكتاب «الخفاجى شاعرا» للأديب حسنى سيد لبيب .

وصدر له عن تاريخ الخفاجيين نحو العشرين كتابا ، وآخر هذه الكتب «الدولة الخفاجية فى التاريخ» .

الخفاجى العالم الموسوعى

بقلم : أ.د/ المستشار محمد شوقى الفنجرى
رئيس الجمعية الخيرية الإسلامية ، وأستاذ الإقتصاد الإسلامى

-١-

فى ٢٢ يوليو القادم يحتفل المفكرون والعلماء والأدباء بعيد ميلاد الخفاجى الرابع والثمانين ميلاديا ، والسابع والثمانين هجريا ، إنه عمر مديد حافل بالعطاء لعالم موسوعى معاصر تجاوزت مؤلفاته الخمسمائة كتاب مطبوع، عدا كتب مخطوطة كثيرة لم تنشر بعد ، وكتب فقدت فى دور النشر العربى المختلفة فى أنحاء الوطن العربى ، وفى شتى مجالات الدين والفكر والتاريخ واللغة والفقه والتفسير والحديث والبلاغة والنقد والأدب والشعر والإبداع ـ بدءا من تفسيره للقرآن الكريم (١٣ جزءا ـ طبع عام ١٩٥٨ - ١٩٦٠) ، ومن روائع مؤلفاته فى السيرة النبوية ، إلى تحقيق التراث والتجديد فى علوم الدين واللغة والأدب ، وإلى كفاح ثلاثة أرباع قرن كامل فى التوعية والتعريف فى مختلف العلوم والدراسات الإنسانية ، وإلى مختلف مقالاته وبحوثه فى الصحف والمجلات المصرية والعربية .

-٢-

ولقد صدرت عن حياته وعطائه الفكرى كتب عديدة قد تقارب العشرين كتابا ، وهذا الكتاب ـ الذى يطالعه القارىء العربى فى كل مكان من العالم الإسلامى ـ هو أحدها .. إلى رسائل جامعية صدرت عن الخفاجى وفكره وأدبه ، للماجستير والدكتوراه ، تصفه بجاحظ القرن العشرين ، وبالسيوطى المعاصر ..

وقد كرمته ندوة الأثنينية فى جدة فى نوفمبر من عام ١٩٩٦ تكريما بالغا

حد الروعة ، اشترك فيه مفكرون سعوديون وسوريون ومصريون وغيرهم .

كما كرمه فى القاهرة عام ١٩٩٧ نادى القصيد تكريما اشترك فيه رجال الدين والصحافة والإعلام والفكر والأدب .

- ٣ -

والخفاجى من مواليد المنصورة فى العاشر من رمضان ١٣٣٣ هـ الثانى والعشرين من يوليو ١٩١٥ ، ومن كتاب القرية الذى حفظ فيه القرآن الكريم ، إلى معهد الزقازيق الدينى ، الذى نال منه شهادة الثانوية ، إلي كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، التى نال منها الشهادة العالية عام ١٩٤٠ ، ثم الدكتوراه عام ١٩٤٦ ، إلى عمله العلمى فى الكلية التى تخرج منها ،مدرسا، فأستاذا مساعدا فأستاذا فرئيس قسم فعميدا ، من ذلك كله اتصل بالعلم والعلماء ، وصار نموذجا للعاشق للمعرفة وللثقافة وللتراث ، ومثالا للشخصية المتميزة بالعطاء الفكرى الموسوعى .

- ٤ -

وقضى الخفاجى حياته قارئا نهما ، ومتعلما نابها ، ومعلما له عطاؤه المتميز ، وكاتبا وأديبا وشاعرا ومفكرا له شخصيته المتميزة ، التى عرفتها مختلف دوائر العلم فى العالم العربى والإسلامى ، [illegible] من الأساتذة والحواريين والعلماء والطلاب ، منتشرون فى [illegible] والإسلامى ، ويتباهون باعتزاز بإنتاجه العقلى ، ويسعدون بعطائه الروحى .

ويذكر الخفاجى كيف غلبه البكاء ، وهو يجلس حول عمود من عمد الأزهر القديم ، يدرّس لطلابه الفكر الإسلامى والبلاغة القرآنية وروائع الأدب القديم ، يذكر ذلك لأن أمه كانت تدعو أن يهبها الله إبنا يجلس حول عمود

من عمد الأزهر ليعلم الطلاب ، مثل والدها العالم الكبير الشيخ نافع الجوهرى الخفاجى (١٨٣٩ - ١٩١٢ م)والذى ترجم له الخفـاجى فى موسوعته (الأزهر فى ألف عام ـ الجزء الثالث) .

- ٥ -

وأول ما تلـقاه من هذا العـالم الموسوعى هـو تواضعه ، وحرصـه على العلم والـقراءة ، حرصه على الـعمل فى صمت ، حـتى لقد كتب عـنه أحد الأعلام عام ١٩٦٣ مقالا بعنوان : الخفاجى الذى يتمنى أن يموت وعلى صدره كتاب [١] ، وإذا كان هذا التواضع وذلك الصمت قد حجبه عن أن يكون أشهر من كل معاصريه ، وهو الجدير بذلك حقا ، فإن هذا الخلق الكريم يحسب له، لا عليـه ، فالشهرة ليـست مقياسا لـلمجد ، وإنما المجـد الحقيقى هو الـعطاء الصادق الذى يضيف إلى تراث هذه الأمة ما يجدد لها ثقافتها وحيويتها .

تحية اعتـزاز وتقدير للأستاذ العـلامة الموسوعى الخفاجى ، أمـد الله فى عمره ، ونفع به العروبة والإسلام والمسلمين .

د/ محمد شوقى الفنجرى

---

(١) الجمهورية ١٣ مارس ١٩٦٣ ـ ٣٠ من صحائف الذكرى .

الخفاجي وملامح الشخصية

عن مجلة الاتحاف التونسية. العدد ٧٨. ابريل ١٩٩٧

بقلم: حسني سيد لبيب

في ١٩٧٧ أهديت الخفاجي كتابا ألفته بالاشتراك مع صديقي الدكتور حسين علي محمد ، عن الشاعر خليل جرجس خليل ، ففوجئت برده الفوري، يشكرني على هديتي ، وكان وقتذاك عميدا لكلية اللغة العربية بأسيوط . دُهشت لرده الفوري ، حيث لم أعهد ذلك من كبار الأدباء ، وكان كتابي هذا هو الأول ، فأعظمت الرجل وأكبرت صنيعه ، وحين التقيت بالصديق التونسي رشيد الذوادي عام ١٩٨٠ ، حين زار مصر لأول مرة ، طلب مني لقاء بالدكتور خفاجي ، فصحبته إلى رابطة الأديب الحديث ، وهناك التقينا بشيخ الأدباء والدكتور عبد العزيز شرف ، وتجاذب معنا أطراف الحديث بتواضع جم ، ورفع من مقامينا !..

وفي إحدى حفلات تكريمه ، تحدث الدكتور محمد جلال عام ١٩٥٨ فقال عنه إنه صاحب الموسوعات الكثيرة ، إذ ما يُنتهى من قراءة كتاب له حتى يجيئنا آخر . فقال له ابنه : لماذا لا تكتب مثلما يكتب الأستاذ الخفاجي ؟ وردَّ عليه: بنيّ أنا من تلامذة الخفاجي وأنّى للتلميذ أن يلحق بأستاذه ؟

وعن موسوعية الخفاجي نقف - على سبيل المثال - عند دراسته عن اكتشاف المسلمين للكهرباء ، وهي معلومة جديدة بالنسبة لي ، رغم تخصصي في الهندسة الكهربائية ، إلا أن المعلومة شدتني وعجبت لحال العرب حيث تُطمر جهودهم ، وريادتهم ، ويبرز الغربيون ، وجهودهم في شتى المجالات .

والحقيقة أن الغربيين اقتبسوا من العرب وأخذوا عنهم ، في عصور

ازدهار الحضارة العربية ، ما بنوا عليه وأسسوا به حضارتهم الحديثة .

وهكذا تتكامل المعرفة عند الخفاجى ، وليست قاصرة على تخصص يحصر الكاتب نفسه فى مجاله ، دونما اطلالة على فنون وعلوم أخرى ، وتكامل المعرفة سمة يتميز بها المثقف عن غيره من المتخصصين ، وحين تطرق الخفاجى إلى اكتشاف المسلمين للكهرباء ، شرع يراعه يكتب فى ثقة ، بأسلوب علمى متأدب ، بما يناسب الموضوع ، دون اخلال بالحقائق العلمية . . . لذا فإذا ما وصفناه بأنه الأديب الموسوعى ، لم نحد عن جادة الصواب ، وما أوردناه غيض من فيض ، ومثال لا حصر ، ويحسن الرجوع إلى مؤلفاته المختلفة العدد ، وإلى مقالاته ودراساته فى الدوريات ، والتى يضيق المجال عن حصرها .

ومع غيرة الخفاجى على الثقافة والحضارة العربية ، يؤكد أنه يعمل دائما من أجل حوار الحضارات ، فإلى جانب اهتمامه بالتراث القديم ، يؤمن كذلك بضرورة الانفتاح على الثقافات الأخرى ، قديمها وحديثها ، على أن تستوعب ثقافات الشعوب جميعها ، ولا تكون قاصرة على ثقافة أجنبية واحدة ، لذا لابد من الاتصال بالروائع الأجنبية ، وعقد صلات بين الأدب العربى والآداب الأخرى .

ولعل الأديب روكس العزيزى قد أصاب حين وصفه بقوله : «الخفاجى واحد من هؤلاء الأفذاذ الذين وقفوا على ماضى الأدب العربى وقوف فهم وتعمق ودراسة ، ورافقوا جديده ، فكانوا من خير مجدديه ، فهو يجمع بين دقة العالم ، وصفاء ذهن الباحث ، وقدرة الكاتب المجيد ، وروح الشاعر المرهفة» (١).

---

(١) ٩١ صفحات من الفكر المعاصر - د/ زهران جبر .

وهناك أمثلة كثيرة تكشف نزوع الخفاجي إلى التجديد وتشجيعه له ، لكننا نحصرها فى مثال واحد ذكره الشاعر ابراهيم شعراوى فى حفل تكريم أقيم للخفاجى عام ١٩٥٨ ، حيث تحدث عن تجربته الشعرية هو وزملاؤه الشعراء محمد الفيتورى وجيلى عبد الرحمن وتاج السر الحسن ومحى الدين فارس . . فغنى شعراوى وقتذاك للنوبيين ، وأنشد الفيتورى لأفريقيا ، وترنم جيلى بذكريات الصبا فى شمال السودان ، وكان تاج السر يصرخ من الأبيض، وتحدث محيى الدين فارس عن فقراء دنقلة وقصر العمدة والمتناقضات . . وكان الخيط الذى يربط الشعراء الخمسة معا ، هو الإيمان بالإنسان فى نموه وانتصاره وابداعه . ولم يألف النقاد وقتذاك تلك الأنغام الجديدة ، فانتقدوها وهاجموها، وقالوا : «أدب منشورات . .» شعر طيب من ناحية الموضوع ولكن الصور ليست شعرية . . «هذه عريقة عنصرية ضيقة» . . ولكن الخفاجى بتواضعه وطيبته وبعد نظره ، أتى بنماذج الشعراء الخمسة وسجل رأيه الناقد . وقال عن هؤلاء الشعراء الواقعيين : «هذه الكتيبة تملك قدرة الوصول إلى شط النجاة» . فكان بذلك متواضعا ورائعا ، وكان - أيضا - ثاقب الرؤية بعيد النظر، فلم يخاصم الاتجاه الجديد ، ولم يهاجمه ، وإنما ترفق به ، وانكب يكتب انطباعاته ، يقوده إيمان بقدرة شداة الأدب على التعبير بصياغة جديدة ورؤية مغايرة . ويرى الخفاجى أن الخصائص والعناصر الفنية للأدب تكون فى وضوحه وبساطته ، وفى جماله وصدقه .

وللدكتور خفاجى ما يقارب الخمسمائة كتاب ، وإن كنا لا تستطيع حصرها بالضغط ، وفى إحدى ندوات رابطة الأدب الحديث عام ١٩٩٦ ، انبرى أديب يتحدث عن مؤلفات الخفاجى ، بمناسبة تكريمه لبلوغه الثمانين ، فقال إنها ربما وصلت الآن إلى ألف مؤلف ، وفى ختام كلمته توجه إلى

الدكتور خفاجى يسأله عن عدد مؤلفاته بالضبط ، فقال : إننى لا أذكر العدد . وهذه المئات من الكتب ، تضم كتبا محققة من التراث ، وكتبا إسلامية وتاريخية ، وتراجم أدبية ، ودراسات فى الأدب والشعر والبلاغة العربية . نشر دراساته الأدبية وإبداعاته الشعرية فى معظم المجلات والصحف المصرية والعربية، نذكر منها : الهلال والرسالة والعربى والثقافة والآداب والأديب وقافلة الزيت والفكر والمنهل وغيرها . وله مئات الأحاديث الإذاعية والتلفزيونية. كما أشرف على عشرات الرسائل الجامعية ، فى الأدب والنقد بجامعات الأزهر والقاهرة والاسكندرية ومعهد الدراسات الإسلامية . ويكفى أن نذكر للخفاجي مواصلته النشر فى الدوريات منذ عام ١٩٢٨ وحتى الآن ، بهمة الفارس وشجاعته ، وحماس الأديب صاحب الرسالة والضمير اليقظ . لم يكل قلمه . دائب العمل ، مثابر ، مؤمن برسالته . . وكان الحصاد هذا الكم الهائل من نور المعرفة ووهج الفكر ، يدعمه إيمان يعمر قلبه ، وتفاؤل بالحياة ، واعتزاز بتراث أمته وتاريخها المجيد .

الخفاجي الذي عرفناه

بقلم
أ.د/ طالب مهدى الخفاجى
الأستاذ فى كلية اللغات بجامعة
بغداد

-١-

الدكتور الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى ، امام العلماء ، وجاحظ العصر ، من مواليد ٢٢ يوليو ١٩١٥ فى المنصورة «عالم أزهرى موسوعى ، ترك بصماته على العصر ، وعلى الجيل والتاريخ ، وعلى الثقافة العربية والإسلامية .

وحسبكم أنَّ له أكثر من خمسمائة مؤلف منشور منها :

- تفسيره للقرآن الكريم - ١٣ جزءاً .
- شرحه لصحيح الامام البخارى - ١٠ أجزاء .
- موسوعة عن الخفاجيين وتاريخهم الطويل - ١٥ كتابا .
- شرحه للإيضاح فى البلاغة - ٦ أجزاء .
- موسوعته في الأدب العربى القديم والحديث - فى نحو مائة كتاب .
- موسوعته فى البلاغة والنقد - وتبلغ نحو ثلاثين كتابا .
- موسوعته فى دراسات إسلامية - وتبلغ نحو المائة .
- مؤلفات مشتركة ، وتبلغ نحو العشرين مؤلفا .
- وتآليفه فى التاريخ والأدب والشعر والتصوف والثقافة - وتبلغ نحو المائة كتاب .
- وتحقيقاته لبعض كتب التراث ، وتبلغ نحو العشرين كتابا .

- ودواوينه الشعرية - العشرين .

إلى مؤلفاته التى لم تطبع بعد ، والتى تبلغ نحو الثمانين كتابا ومن هذه الثمانين :

- أصول الأدب العربى - جزءان كبيران .

- الأزهر القديم والحديث - جزءان كبيران .

- دراسات فى الفكر العربى - جزءان كبيران .

- مصادر الثقافة العربية - جزءان كبيران .

وتقرأ كتبه : مدارس النقد - مدارس الشعر الحديث - أصول النقد - الجاحظ - الأزهر فى ألف عام (ثلاثة أجزاء) - ابن المعتز - وغيرها ، فيروعك هذا العالم الجليل ، بسعة أفقه ، وعمق فكره ، وبثقافته الواسعة ؛ حتى لقب بالجاحظ وبالسيوطى ، تقديرا لفكره ولمعارفه الشاملة والخفاجى عاشق للعلم وللكتاب وللقراءة ، وكثيرا ما نصح تلاميذه بأن يعكفوا على القراءة والكتاب ما أمكنهم ذلك . . والعلم بحر لا ساحل له ، والقراءة هى الزورق الذى يسير به الانسان ، فى هذا البحر اللجى المتلاطم الأمواج .

- ٢ -

حصل الخفاجى على الدكتوراه فى الأدب والتقدير والبلاغة من جامعة الأزهر عام ١٩٤٦ برسالته عن ابن المعتز ؛ وشغل منصب الأستاذية فى كلية اللغة العربية بالقاهرة ، ومعهد الدراسات الاسلامية ، وجامعة محمد بن على السنوسى فى ليبيا ، وجامعة محمد بن سعود فى الرياض ، وتخرج على يديه جيل كبير من العلماء والباحثين ، ممن شغلوا مقعد الاستاذية فى الجامعات المصرية والعربية والاسلامية ، وفى جامعة الأزهر على الخصوص ، حتى كان

أغلب عمداء الكليات الأزهرية من تلاميذه ،كما أشرف وناقش الكثير من رسائل الماجيستير والدكتوراه فى مختلف الجامعات والمعاهد . وألف عنه أكثر من عشرين كتابا بأقلام لفيف من الباحثين والكتاب والأدباء والنقاد . وأسهم الخفاجى بنشاطه العلمى والثقافى والأدبى فى مدرسة أبولو ، ومدرسة الديوان، ورابطة الأدب الحديث ، وجماعة أبولو الجديدة . وأتصل اتصالا وثيقا بمدرسة الرابطة القلمية فى نيويورك ، وبالعصبة الأندلسية فى ريودى جانيرو وبمدرسة الشعراء المهجريين فى الأرجنتين ، الياس قنصل وزكى قنصل وعبد اللطيف اليونس وغيرهم .

وكان عضوا فى الجمعية الادبية بالنجف ، كما كان عضوا فى جمعية الأدباء فى القاهرة وفى اتحاد الكتاب منذ أول قيامه ، وفى المجلس الأعلى للفنون والآداب ، وفى المجالس القومية المتخصصة ، وفى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، وفى مجلس جامعة الأزهر والمجلس الأعلى للأزهر الشريف، وخبيراً فى مجمع اللغة العربية ، وعضواً فى جمعية الهداية الاسلامية التى كان يرأسها الشيخ محمد الخضر حسين (شيخ الأزهر فيما بعد)، وفى جمعية الشبان المسلمين ، وفى رابطة أدباء وادى النيل ، وفى رابطة الأدب الإسلامى ، ونادى القصيد ، ونادى القصة ، وجمعية الدراسات الإسلامية ، وجمعية العشيرة المحمدية ، واتحاد أبناء الدقهلية ؛ وعضوا شرفيا بالمجلس الأعلى القومى للأدب السودانى ، وباتحاد الكتاب والمؤلفين فى بغداد.

وحضر الخفاجى عشرات المؤتمرات فى مصر والسعودية والعراق وتونس والجزائر ومراكش والكويت ، وفى باكستان والهند وبروناى وفى لندن وسواها.

- ٣ -

ودوائر الاستشراق تعرف الخفاجى جيدا ، ومن أصدقائه الحميمين من

المستشرقين : عبد الكريم جرمانوس الأستاذ فى جامعة بودابست ، والدكتور أرنست بانرت الأستاذ فى جامعة فينا ، والمستشرق الأمريكى الدكتور ريتز الذى توفى عام ١٩٩٧ ، والدكتور تيلاند مدير المعهد الهولندى للدراسات عن الشرق الأوسط ، والدكتور داود كاون بجامعة لندن ، وغيرهم .

- ٤ -

وقد نال الخفاجى تقدير العديد من الزعماء ، وفى مقدمتهم : مصطفى النحاس ومحمد نجيب ، وأنور السادات ، والرئيس السنغالى عبده ضيوف ، والرئيس السودانى النميرى ، ورئيس الوزراء التونسى الاسبق محمد مزالى .. ومنحه الرئيس المصرى محمد حسنى مبارك وسام العلوم والفنون والآداب من الطبقة الأولى .

كما نال تقدير العديد من أعلام الفكر العربى الحديث ، ومن بينهم : د. أحمد زكى ابو شادى ، نجيب محفوظ ، توفيق الحكيم ، عبد الرحمن الشرفاوى ، الشيخ أحمد حسن الباقورى ، الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى، مبارك المغربى رئيس المجلس الأعلى القومى للأدب السودانى ، البشير بن سلامة وزير الدولة الاسبق للشئون الثقافية فى تونس ، محمد بن حنينى وزير الدولة للشئون الثقافية بالمغرب ، محمد العروسى المطوى (تونس)، وغيرهم .

وكرمت الخفاجى ندوة الاثنينية فى جده التى يرأسها المفكر الكبير الشيخ عبد المقصود خوجة ، كما كرمه نادى القصيد ، ورابطة الأدب الحديث ، وغيرها .

وكان صديق الأدباء الكبار من أمثال محمد مندور ومصطفى السحرتى وعبد الله عبد الجبار (السعودية) وهلال ناجى (العراق) وصالح جودت ،

وديع فلسطين ، والشرباصى ، د. فرهود ، وغيرهم كثير .

- ٥ -

والخفاجي هو الذى دعا الى انشاء مجمع فقهى قبل قيامه فى مكة بعشرين عاما . وهو الذى وضع مشروع جائزة البابطين ورأسها فى العام الأول من إنشائها .

كما انه كان من أوائل الذين اشتركوا فى الاجتماع التأسيسى لجماعة الاخوان المسلمين عام ١٩٣٧ الذى دعا إليه الشيخ حسن البنا رحمه الله .

وقد اشتغل الخفاجى طويلا بالصحافة ، وأصدر عام ١٩٥٣ جريدة اسبوعية باسم «الشعب» واصدر عام ١٩٥٥ سلسلة كتاب البعث ، وأصدر هو والدكتور عبد العزيز شرف منذ عام ١٩٨٤ مجلة الحضارة .

وجهود الخفاجى فى «رابطة الأدب الحديث» معروفة منذ الجيل الأول الذى رأسها فيه أحمد زكى ابو شادى ، والجيل الثانى الذى رأسها فيه الشاعر الدكتور إبراهيم ناجى ، والجيل الثالث الذى رأسها فيه الناقد مصطفى السحرتى ؛ وتولى الخفاجى رياسة الرابطة منذ عام ١٩٨٣ .

- ٦ -

إن الحديث من الخفاجى ممتد وطويل ومتلاحم ، ويحسب الخفاجى أنه امتلك أسلوبا أدبيا رفيعا من أصفى الأساليب العربية بيانا وبلاغة .

وهو فى شعره العمودى ذى الموسيقى الشعرية والاسلوب الرومانسى المطواع ، يملك ناصية البلاغة والشاعرية الأصيلة المتمكنة .

والخفاجى وحده مدرسة أدبية متكاملة كبيرة تغوض فى الذات

والوجـدان، وتحتفى بـالتراث والأصـالة ، وتسايـر حركات الـتجديد فـى كل خطواتها المـتوثبة ، وتجود فى الوسيقى والـصورة الشعرية والعاطفة المـلتهبة ، والتجربة الذاتية العميقة . . وقصائده فى رثاء زوجته التى لقيت ربها فى السابع من اغسطس عام ١٩٨٧ ، تعدُّ من أجمل قصائد الشعر الحديث .

وكما قـلت إن الخفاجـى بحر متـلاطم الأمواج أقول : إنـه لا يستطـيع السباحة فى هذا البحر إلا سباح ماهر يستطيع أن يدخل الى الأعماق وينظر إلى عالم الخفاجى المملوء بالعبقرية وبالاشراق ، بعين المتأمل الناقد البصير .

وأخيرا أقـول ، إن الخفاجى شـاهد على عـصره ، شهد أحـداث القرن العشريـن وعايشها واتصـل بها اتصالا كبـيرا ، وأثرت فى حياتـه وفكره وأدبه تأثيرا بالغا .

إن أغلب الأعلام العربية والاسلامية ، فى شـتى مجالات الفكر والثقافة والأدب هم معاصروه وأصدقاؤه ، وأسهم مع كثير منهم إسهاما بالغا فى خدمة العربية وتراثها وأدبها ، وفى العمـل الجاد من أجل ازدهارها ، بقدر ما أتيح له من إمكانات وطاقات ومثابرة ؛ حيث كتب فـى نواحى الفكر المختلفة صفحات خالدات لا يمحوها الزمان .

الخفاجى أديبا وناقدا

بقلم البشير المشرقى - تونس (١)

عرفنا الأستاذ رشيد الذوادى من خلال السلسلة الموجهة للاطفال التى كان يصدرها تحت عنوان «عظماء بلادى» وعرفناه أيضا من خلال كتبه «أدباء تونسيون» و «جماعة تحت السور» و «أعلام من بنزرت» و «رحلة فى الشعر التونسى بعد أبى القاسم الشابى» وغيرها من العناوين المهمة التى أسهمت دون شك فى أثراء المكتبة التونسية والعربية وسلطت الاضواء على عدة مسالك كانت مجهولة فى دنيا الفكر والنقد والتاريخ . . وفى سياق عناية الاستاذ الذوادى بالابداعات العربية أصدر مؤخرا كتابا قيما بعنوان : «الخفاجى . . أديبا وناقدا».

صدر الكتاب بالقاهرة عن رابطة الأدب الحديث فى ٧٢ صفحة عن رابطة الأدب الحديث فى ٧٢ صفحة من الحجم الكبير . وقدم له الناقد المصرى المعروف الدكتور عبد العزيز شرف رئيس القسم الأدبى بجريدة «الأهرام» ومن المعلوم أن الخفاجى يعمل فى الحقل الأدبى منذ قرابة السبعين عاما وهو صاحب مؤلفات عديدة ومقالات كثيرة متنوعة معظمها فى النقد وتحقيق المخطوطات . ومن يطلع على كتاب الأستاذ رشيد الذوادى يستطيع الاهتداء الى جوانب مهمة من شخصية الخفاجى المفكر الأزهرى والموسوعى الذى يرأس حاليا رابطة الادب الحديث بالقاهرة .

وقد اشتمل كتاب رشيد الذوادى على عدة أقسام ، يختص القسم الأول منها وهو بعنوان «مؤثرات وتأثيرات» بتقديم لمحة ضافية عن حياة الخفاجى وعن مسيرته الفكرية ومواقفه السياسة واسهاماته فى التعريف بالأدب التونسى

(١) عن جريدة الصباح بتاريخ ٢٨ يناير ١٩٩٩ .

وبالأدباء التونسيين بدءا بالشابى والخضر حسين وانتهاء بالعروسى المطوى ونور الدين صمود وغيرهما» .

وفى القسم الثانى من الكتاب تتألق شخصية الخفاجى كظاهرة أدبية ، حيث يخصص الذوادى حيزا هاما للحديث عن الأزهر ودوره فى نشر الثقافة العربية ووفاء الخفاجى له والتزامه بالتعريف بأعلامه من أمثال أحمد حسن الباقورى والخضر حسين وسواهما ، مع العلم أن الخفاجى الف كتابا ضخما ظهر فى عدة أجزاء وصدر فى عدة طبعات وعنوانه الازهر فى الف عام » .

أما القسم الثالث وجاء تحت عنوان : «الخفاجى الأديب» الذى قال عنه الذوادى : «من مميزات هذا الأديب الناقد أنه أسهم بجهد وافر فى الكشف عن الظواهر الأدبية وحدد ملامح الدراسات فيها ، كما أمكنه أن يقدم آراء ونظريات فى البحث عن الجذور العربية . . .» .

أما القسم الرابع فإن الذوادى يخصصه لتحليل شخصية الخفاجى الناقد ، معرجا على عدد من مؤلفاته فى هذا المجال وأهمها كتاب «مدارس النقد الأدبى الحديث » ومن أبرز أفكار الخفاجى فى النقد أن النص الأدبى هو صورة للعصر ولكاتبه ، وفى هذه الفكرة بعض من قول الناقد الفرنسى الشهير «سانت باف» «الأديب ابن بيئته» .

وقد خصص الذوادى الفصول الاخيرة من كتابه للحديث عن الجديد فى فكر الخفاجى وأورد مختارات من شعره ومقتطفات مما كتب عنه من دراسات ومقالات .. وهكذا يتجلى لنا مدى نجاح الاستاذ رشيد الذوادى فى تقديم كاتب كبير من كتاب الأمة العربية لا نعرف عنهم فى الحقيقة الكثير ، وجهود كهذه من شأنها أن تعرفنا بالجهود المشكورة التى قدمها عدد من الادباء والكتاب والشعراء العرب من اجل النهوض بالادب والفكر .

عبد الحليم خفاجى

الاستاذ عبد الحليم خفاجى المدير العام لمؤسسة بافاريا للنشر والاعلام ومقرها فى ميونخ ـ بألمانيا الاتحادية ، وجه خفاجى أصيل ؛ والمؤسسة التى يشرف عليها مؤسسة تعمل على تقرية الروابط مع الشعب الألمانى قلب اوربا الموحدة ، من خلال الكتاب الجيد من وإلى اللغتين العربية والألمانية ، وقد تبنت هذه المؤسسة أعمالا ثقافية كبيرة ؛ منها :

١ ـ ترجمة معانى القرآن الكريم الى الألمانية ترجمة وافية صحيحة جاءت على قمة ٤٢ ترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة الألمانية على مدار أكثر من ستمائة عام .

٢ ـ ترجمة كتاب على عزت بيجوفتش «الاسلام بين الشرق والغرب» من الألمانية الى العربية .

٣ ـ ترجمة كتاب كريستيان هوفمان (أو عبد الهادى هوفمان) «بين شتى الجبهات» من الالمانية الى العربية ، وهوفمان هو المتحدث الرسمى السابق للحزب الديمقراطى المسيحى الحاكم فى ألمانيا ، وهو ليس له صلة بالسفير مراد هوفمان مؤلف « الاسلام كبديل» .

وأصدرت مؤسسة بافاريا كتابا لمديرها عبد الحليم خفاجى فى سلسلة «نافذة على الغرب» وعنوانه «دور اوربا فى مستقبل العمل الاسلامى » .

الى غير ذلك من مختلف الأعمال الكبيرة التى قام بها مدير المؤسسة من خلالها .

ولا شك أن ذلك كله يستحق التنويه والتقدير والإشادة .

بسم الله الرحمن الرحيم

خاتمة الكتاب

وبعد :

فهذا هو كتاب «الدولة الخفاجية فى التاريخ» فى طبعته الثانية المزيدة والمحققة والموثقة بدءا من ظهور الخفاجيين فى التاريخ العربى ثم ظهور دولتهم فى العراق ؛ ثم تاريخ هذه الدولة فى العراق وامتداداتها فى الشام ومصر ؛ ثم الترجمة لعدد من أعلام الخفاجيين المعاصرين .

ولا شك فى أن هذا الكتاب بمضمونه التاريخى ، وبمصادره الكثيرة ، وبالتأريخ لعدد من أعلام الخفاجيين المعاصرين ، يُعَد عملا كبيرا ، حيث استغرق جمع مادته التاريخية من شتى المصادر والمراجع القديمة والحديثة زمنا طويلا . قد لا يمكن أن يتصور أحد أن هذا الزمن يبلغ نصف قرن كامل .

ولا ريب أن أحداث التاريخ قد طوى أكثرها . ولم يبق منها إلا إشارات قليلة فى بطون الكتاب والمصادر والمراجع المختلفة .

وأحمد الله عز وجل على توفيقه ، وأسأله المعونة وحسن المثوبة ، وهو على ما يشاء قدير ، وهو حسبى ونعم الوكيل ، وما توفيقى إلا بالله .

المؤلف.

صدر حديثا كتاب

حول القصر المسحور

تأليف : المهندس الدكتور ماجد خفاجى

عضو نقابة المهندسين

وعضو رابطة الأدب الحديث

وعضو اتحاد الكتاب

وعضو جماعة أبولو الجديدة

وهو سيرة تاريخية موجزة للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

«رئيس رابطة الأدب الحديث بالقاهرة»

فهرست الكتاب

صدر حديثا للخفاجى :

١ - فحولة الشعراء للأصمعى - تحقيق .

٢ - قواعد الشعر لثعلب - تحقيق .

٣ - موسيقى الشعر وأوزانه .

٤ - واقع الإنسان المسلم فى المجتمعات المعاصرة .

٥ - كيف تكتب بحثا جامعيا - بالإشتراك مع د. شرف .

٦ - من أعلام الإسلام - بالإشتراك مع د. السيد الجميلى .

٧ - الأسلوبية - بالإشتراك مع د. محمد السعدى فرهود ، د. شرف .